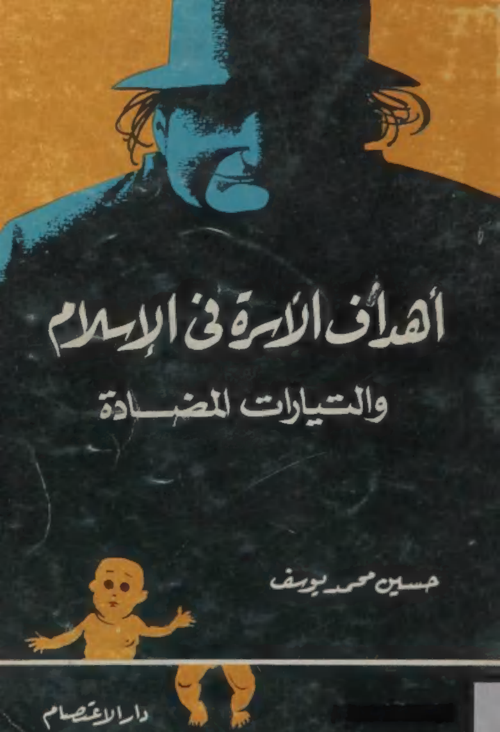

أهداف الأسرة في الإسلام
والتيارات المضادة

حسين محمد يوسف

دار الاعتصام

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

أهداف الأسرة في الإسلام

والتيارات المضادة

٢١٠/٤
٢٥ ح م

بناء الأسرة المسلمة

أهداف الأسرة فى الإسلام

والتيارات المضادة

حسين محمد يوسف

الطبعة الثانية
١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بديع الأرض والسماوات ، بارىء جميع الكائنات والمخلوقات ، سبحانه وتعالى ، جرت مشيئته أن يخلق الناس من نفس واحدة ، وشاءت قدرته أن يجعل لهم من انفسهم ازواجا . . . تسكن اليها ارواحهم ، وتستقر بها احوالهم ، ثم اقتضت حكمته أن جعل بينهم من المودة ما تقوم به الأسرة ، ومن الرحمة ما تدوم به العشرة ، قال تعالى فى كتابه الكريم :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ..

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، الذى به كملت الشرائع ، وختمت الرسالات الى يوم الدين ، فكانت بعثته رحمة للعالمين ، ونصرة للمستضعفين ، وكان من آخر ما أوصى به : قوله صلى الله عليه وسلم :

« اتقوا الله فى الضعيفين ، المملوك والمرأة » .

وفى رواية اخرى : **« المرأة الأرملة والصبى اليتيم »** .

وقال أيضا فى نفس المعنى :

« اللهم انى احرج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » .

اللهم وفقنا الى التأدب بسنته ، واتباع هديه ونوره ، واجعلنا من العاملين لاعلاء كلمته ، ونصرة شريعته .. ، وتقبل منا ، انك أنت السميع العليم .

مقدمة الرسالة الأولى

- تنبيه الرئيس إلى أهمية الأسرة..
- محاولات الغرب ضد الأسرة المسلمة..
- مقلدة الغرب.. وموقفهم من تقاليد الأسرة..
- أهمية الأسرة في معركة المصير..
- عرض موجز لمحتويات الرسالة..

بالرغم من الظروف التى مرت بها الأمة فى السنوات الأخيرة، والتى وجهت معظم جهودها الى تحرير البلاد من العدوان الاسرائيلى : فان الرئيس محمد أنور السادات ، فى دعوته الأساسية الى اعادة بناء الدولة على العلم والايمان : لم يفته ما للأسرة من أثر عميق فى كيان الأمة ومستقبلها ، فاخذ ينبه الأذهان الى وجوب العناية ببنائها على أقوى الدعامات ، واسمى القيم .

ولقد انتهز سيادته فرصة احد الاجتماعات النسائية التى حضرها ، فقال ما نصه :

اردت أن انبه الى شىء واحد ، وهو الأسرة ، لأن الاسرة هى اللبنة الأولى للوطن ، وبقدر ما فى الأسرة من تماسك ووعى وفهم لكل المراحل التى يجتازها وطننا .. بقدر تمسك الأسرة بمقوماتنا الاساسية التى قام عليها هذا الشعب آلاف السنين ، يكون التقدم والتطور .

لذلك : فانا انبه الى الأسرة ، لانها هى الأساس الاول للوطن، وحينما اتحدث عن الأسرة : يأتى دور المرأة ، .. والمرأة هى الأساس ، وهى التى تزرع كل ما نريد ، وتحافظ على كل ما لدينا من مقومات(١) .

والحقيقة التى لا شك فيها ، أن سر قوة العالم الاسلامى فى عصوره الزاهرة ، وسر مقاومته للفناء فى عصور الانحطاط ، انما هو فى بقاء الأسرة معتصمة بتقاليدها العريقة ، سليمة من التحلل والفساد . وهو ما فطن اليه أعداء الاسلام ، فأخذوا يصوبون

---

(١) الاخبار : فى ١٩٧٢/٧/٦

سهامهم الى الأسرة ، وينسبون اليها سر تأخر المسلمين وضعفهم ، كأن القـوم يشفقون علينـا ، ويحرصون على تقدمنا ورقينـا ، ولا يعملون بـكل وسيلة لاحتـلال بلادنا . واستنزاف خيراتنا ، واستئصال شأفتنا .. !!

يقول المرحوم محمد طلعت (باشا) حرب :

« ان رفع الحجاب والاختلاط : كلاهما امنية تتمناها اوروبا من قديم الزمان ، لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد اوربا بالعالم الاسلامي » .

« انه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسـلامي في الشرق — لا في مصر وحـدها — الا ان يطرأ على المرأة المسلمة ، التحويل ، بل الفساد الذي عم الرجال في الشرق » .

« ان ارادة الوصول الى تغيير حال المرأة المسلمة ، شيء كامن في نفوس الفرنج ، لذلك كانوا يطالبون به كل من حادثهم من ادباء الشرق وعلمائه ، حتى انك ترى الواحد منهم متى ناظرته ، مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا غريبا ، ويرثي لحالها ، ويصدر منه من الاقوال ما يدل على جهله بحالة المرأة وحقوقها في الاسلام »(١).

* * *

ومع أن الكثير من عقلاء الغرب وكبار مفكريه ، وقفوا موقف الانصاف والتقدير من تعاليم الاسلام وتقاليده ، فوضعوا الأمور في نصابها ، واعلنوا لبني قومهم ما في الاسلام من سمو وحكمة ، وما في تعاليمه من تكريم للمرأة ، وأعلاء لشأنها ..

ومع أن الكثير من احصاءات وتقارير الهيئات الدولية ، جاءت مؤكدة لعظمة الاسلام ، ومعلنة أن تقاليده في الأسرة ، كانت خير

---

(١) تربية المرأة والحجاب لمحمد طلعت حرب : ص ٣ — ٥

علاج للمشاكل المعقدة التى عجز المجتمع الغربى عن حلها ، مثل تفشى الزنا فى مختلف الأوســـاط ، واطراد الزيادة فى الاولاد غير الشرعيين ، حتى بلغت نسبتهم فى بعض البلاد الأمريكية مثل بناما ٧٥٪ من جملة المواليد .. !!

ومع ان النشرة الاحصائية لهيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٥٩ ، جاء فيها ما نصه :

■ ان البلدان الاسلامية محفوظة من هذا الوباء — وباء انتشار الفاحشة وكثرة ابناء الزنا — لانها تتبع نظام تعدد الزوجات(١) ■ .

مع كل ذلك : فان بعض المتأثرين بالمدنية الغربية ، ما زالوا يرددون الاباطيل والمفتريات ، ضد التقاليد الفاضلة التى تقوم عليها الأسرة المسلمة ، وكأنها التنزيل المحكم ، أو الوحى المقدس ، حتى لقــد طالب البعض منهـــم بقانون جديد للأسرة ، يمنع تعــدد الزوجات ، أو يقيده بقيود تجعله فى حكم العدم ، .. ويحرم الطلاق الا اذا وقع باذن القاضى ، مستندا فى طلبه لا الى نص شرعى أو حكم فقهى ، أو حجة قوية ، وانما كان كل سنده « حقوق الانسان » التى اعلنتها الأمم المتحدة(٢) ، .. الأمم المتحدة التى كانت وما زالت أداة مسخرة فى قبضة الدول الاستعمارية الكبرى لهضم حقوق الأمم والشعوب !!

* * *

وقد كان من الطبيعى — ونحن نخوض معركة حاســـمة ، تطهيرا للأرض المغتصبة من رجس الصهيونية والاستعمار ، وتحريرا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، فقد كان ولا بد من

(١) الاسلام يتحدى : لوحيد الدين خان — ص ١٧١ .
(٢) الاهرام فى ١٩٧١/٢/٨ — ص ٥ .

ان نعطى الأسرة الأهمية الكبرى التى نبه السيد الرئيس اليهـــا ، حتى نتقـــدم للأمة ما تحتاجـــه فى كفاحها المصـــرى من امكانيـــات وتضحيات .

لذلك : عنيت بوضع هذا البحث ، موضحا اهمية الاسرة فى المجتمع الاسلامى ، وهدف الاسلام الحنيف فى تكوينها ، والوسائل التى كفلها لحمايتها من العواصف ، ووقايتها من الانحلال ، مـــع المقارنة بما تعانيه الأسرة فى بلاد الغرب من تفكك فى العرى ، وما تقاسيه المرأة من استغلال وامتهان ، ومع بيان وجه الحق فى الضلالات التى رددها بعض المعاصرين ، وموقف الكتاب والسنة منها ، بما يوضح كل غموض ، ويدحض كل ادعاء ، ويطمئن أبناء الاسلام الى أن دينهم القيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان نبيهم الصادق الأمين ، لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى .

وقد أطلقت على البحث المذكور تسمية عامة ، هى :

بنـــاء الأســـرة المســـلمة

وقسمته الى ثلاث رسالات ، هذا بيانها ..

الرسالة الأولى : اهداف الأسرة فى الاسلام .. والتيارات المضـــادة .

الرسالة الثانية : اختيار الزوجين فى الاسلام ، وآداب الخطبة.

الرسالة الثالثة : آداب العقد .. والزفاف فى الاسلام .

* * *

وقد عنيت فى وضعى لهذا البحث . بالرجوع الى المصـــادر الثبتة فى حقول التفسير والحديث والفقه ، والتاريخ ، مـــع بيـــان

التخريج الضرورى للآيات والأحاديث ، مع الاشـــارة الى المراجع المختلفة ، عند ابداء أى قول منقول عنها ، أو رأى مقتبس منها ، ومع ذكر الجزء والصفحة . بما يتيسر معه — لمن شاء — أن يرجع الى المصادر الأصلية ،ان أراد مزيدا من الايضاح أو تثبتا من صحة الأسـانيد والروايات .

* * *

وقد قسمت هذه الرسالة الأولى الى مقدمة ، وفصلين فيما يلى عرض موجز لمحوى كل منهما :

الفصـــل الأول

مكانة الأسرة فى دولة الإسلام

وقد أوضحت فيه مدى عناية الاسلام بالمرأة ، وكيف أنقذها من الوأد ، وحررها من الذل ، ورفع عنها الظلم والحرمان ، وقرر حقها فى الميراث ، وكفل لها الحماية فى جميع أدوار حياتها ، وجعل عقوبة المفترى عليها الجلد ، والمعتدى على شرفها الرجم ، واعتبر مقياس مروءة الرجل وكرامته ، بمقدار اكرامه لأهله ، وحسن معاملته لنسـائه .

ولم يقف الاسـلام فى تكريمه للمرأة عند هذا الحد ، فأمر غير المحارم من الرجال بغض البصر عنها تنزيها لها . وتشريفا لقدرها ، وأمرها كذلك بغض البصر عن غير المحارم ، وضرب الخمر على الجيوب ، تمييزا لها من الخارجات المتهتكات ، وحماية لها من طمع ذوى النفوس الدنيئة ، والقلوب المريضة .

وما زال الاسـلام يزيد المرأة تشريفا وتكريما واحسانا . حتى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — جعل التوصية باكرامهن ، من أركان خطابه الجامع يوم الحج الأكبر .

وفى الوقت الذى ارتفعت فيه المراة المسلمة الى قمة العز والكرامة ، نجد أن زميلتها فى بلاد الغرب ما زالت تقاسى صنوفا من الذل والهوان ، والظلم والحرمان ، فهى ما زالت محرومة من الميراث فى كثير من البلدان ، ومطالبة بكفالة نفسها متى بلغت سنا معينا ، لا حماية لعرضها الا فى سن القصور ، ولا عقوبة على من يغرر بها بعد ذلك أو يعتدى عليها ، ليس لها اية حقوق — فى حالة الطلاق — قبل زوجها ، فضلا عن مسئوليتها فى الانفاق على أولادها مناصفة مع مطلقها .. !!

وبوجه عام ، فانه بالرغم من دعوى تحرير المراة فى الغرب ومساواتها ، فانها تحيا — فى كثير من الأحيان — حياة البؤس والشقاء ، تعمل فى المصانع والمؤسسات لكسب رزقها ، وفى المراقص والحانات متاجرة بعرضها ، وفى ميادين القتال للاشتراك فى المعارك ، والترفيه عن الجنود .. !!

ثم عرضت لتحلل الاسرة فى المجتمع الغربى ، وما ترتب عليه من زيادة جرائم الأحداث عاما بعد عام ، من قتل وتخريب ، الى ادمان المخدرات ، واغتصاب للأعراض ، وشذوذ جنسى سرى مسرى العرف العام « .. حتى أصبح الاجهاض بين الفتيات الصغيرات ، تجارة رابحة ، لها عيادات معروفة ، وأسعار محددة .

واوضحت بعد ذلك اثر الاسرة فى بناء الرجال .. وصلة النكسة التى حلت بالأمة العربية ، بتحلل الأسرة ، وابتعادها عن هداية الاسلام ، لأن خطر التحلل الخلقى على الجيوش المحاربة اشد من خطر العدو نفسه .

واخيرا : فان الاسلام عز وساد فى الماضى « حين عض المسلمون بالنواجذ عليه « فاتخذوه لحياتهم شرعة ومنهاجا ، واقاموا بيوتهم على التقوى ، وصانوا نساءهم من التبذل والاختلاط ، .. ومن ثم فان السبيل الى استعادة مجد الاسلام ، يجب أن يبدا من

حيث انتهت محاولات أعداء الاسلام ، فلا تصرفنا مشاكل السياسة والحرب عن العمل فى نفس الوقت لاعادة بنــاء الأسرة على القيم الفاضلة ، والتقاليد الكريمة وتحصينها من عوامل الهدم والفساد .

الفصل الثانى

أهداف الإسلام فى تكوين الأسرة

وقد بدأت فيه بعرض موجز للأسرة الاسلامية الأولى المكونة من أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم ، والسيدة خديجة رضى الله عنها ، مبينا فضلها فى وقوفها بجواره . ومؤازرتها له ، وتخفيفها عنه ، وايناسها لوحشته .

ثم تحدثت عن الزواج فى الاسلام ، وأنه وسيلة لتحقيق أهداف هامة ..

● منها ما هو خلقى ، بحماية الشباب من الفساد ، وصيانة المجتمع من الفوضى ..

● ومنها ما هو اجتماعى ، بتوثيق العرى — بالمصاهرة — بين الأفراد والجماعات ، وبين القبائل والشعوب .

● ومنها ما هو سياسى : بتقوية شوكة الأمة وتكثير عددها ، لتستطيع .. مقاومة الأعداء الطامعين فيها ، وتعويض ما تفقده من الشهداء دفاعا عن ثمارها ، أو جهادا فى سبيل نشر الدعوة الى الله تعالى ، لا سيما وقد غيرت أحداث معركة العاشر من رمضان ، الكثير من النظريات العسكرية ، واعادت للقوة البشرية قيمتها الفعالة فى مواجهة أخطر الأسلحة ، من دبابات وطائرات ، وتدميرها باجهزة مضادة « يحملها المقاتل بمفرده .. !!

● ومنها ما هو اقتصــادى : باعتبار الزواج من عوامل توفير نفقات الحياة ، فضلا عن كونه وسيلة الى الغنى والمال .

● ومنها ما هو صحي : بصيانة الشباب من العادات السرية التي تستنزف حيويته . والأمراض الجنسية الخبيثة . التي تفتك به ..

● ومنها ما هو روحي : باستكمال نصف الايمان ، وتيسير السلوك في طريق الله تعالى ، بقلب طاهر من النزعات ، ونفس محصنة من الوساوس .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف : حث الاسلام على الزواج ، وأنكر الاعراض عنه مع القدرة عليه ، وبين انه لا رهبانية في دين الله . وفضل المتأهلين في الوظائف العامة عن العزاب .

وقدمت في ختام هذا الفصل بعض صور لحرص السلف الصالح على التزويج وكراهيتهم للعزوبة ، وان بلغوا من السن اقصاه ، وأوشكوا على لقاء الله .

وما توفيقي الا بالله .. عليه توكلت واليه انيب ..

حسين محمد يوسف

القاهرة في المحرم ١٣٩٥
يناير ١٩٧٥

الفصل الأول

مكانة الأسرة فى دولة الإسلام

- مكانة المرأة فى الأسرة المسلمة
- قضاء الاسلام على ظلمات الجاهلية
- مكانة المرأة فى بلاد الغرب
- اعتراف منصفى الغرب بفضل الاسلام على المرأة
- موقف اعداء الاسلام من الأسرة المسلمة
- محاولة هدم الاسلام بتقويض الأسرة
- اثر تحلل الأسرة فى المجتمع الغربى
- لماذا توجه السهام ضد الأسرة
- صلة النكسة .. بتحلل الأسرة
- خطر التحلل الخلقى .. أشد من خطر العــدو
- جهالات المعاصرين من مقلدة الغرب
- اصلاح الأسرة : سبيل النهضة

مكانة المرأة المسلمة في الأسرة

لما كانت الأسرة هي اللبنة التي يتكون منها صرح الدولة ، فانه بمقدار ما تكون عليه من قوة ، أو تقوم عليه من قيم ، بمقدار ما يتوفر للدولة من عزة وشوكة ، وما يسود مجتمعها من خلق وفضيلة .

وبعكس ذلك : اذا تفككت عرى الأسرة ، وتطرق الفساد اليها، كان له صداه في الدولة بأسرها ، وكان له أعمق الاثر في تحلل مجتمعها ، واضطراب أمورها ، وذهاب ريحها ..

لذلك : حظت الاسرة في دولة الاسلام ، بقسط وافر من عناية شريعتها ، يناسب أهميتها في كيان المجتمع ، وأثرها في حياة الأمة ومستقبلها ، وبين كل ما يتصل بتكوينها من الأحكام والواجبات ، وما تقوم عليه من التقاليد والآداب ، وما يكفل سلامتها من الفتن والخلافات ، ويوفر لها الحماية من عوامل التحلل والفساد ، كي تؤدى رسالتها الخطيرة في أمن واستقرار ، في اعداد الجيل الجديد ، وتربيته على القيم الفاضلة ، والمثل العليا .

* * *

وسواء كانت الحدود التي تعنيها كلمة « الأسرة » تقتصر على مفهومها القريب . الذى ينحصر في الزوجين والأولاد ، أو تمتد الى أبعد من ذلك ، بحيث تشمل الوالدين والأقربين ، وتسمى حينئذ — أحيانا — بالعائلة ، وأحيانا أخرى بالعشيرة ، فان الشريعة الاسلامية ، قد أحاطت بتعاليمها السامية ، ونظامها المحكم ، الاسرة في حدودها القريبة والبعيدة على السواء .

حددت الشريعة الاسلامية العـــلاقة بين الزوجين ، وبينت واجبات كل منهما قبل الآخر ، وحقوقه عليه ، ومسئوليتهما في تنشئة الأبناء ، ورعاية الأسرة ، كما حددت العـــلاقة بين الآباء والأبناء ، وبين ذوى الأرحام واولى القربى ، كل ذلك وغيره في سياج متين من القيم الصحيحة ، والانسانية السامية ، بما يكفل للأسرة حياة آمنة مطمئنة ، في ظل التعاطف الصادق بين افرادها ، والتعاون البناء لمـــا فيه خير المجتمع ، وخيرى الدنيا والآخرة .

* * *

ولمـــا كانت المرأة من اهم مقومات الاسرة ، فقد كان من الطبيعى أن يعنى الاسلام — في تشييده للمجتمع الفاضل — بانتشالها من الهوة التى دفعتها الجاهلية اليها ، ووضعها في المكانة الكريمة اللائقة بها ، كزوجة تشاطر زوجها السراء والضراء ، وكأم منوط بها تنشئة الأبناء ، وكربة بيت تقوم بتدبير شئون الاسرة ، وتوفر لأفرادها كل سعادة وهناء . .

* انقذ الاسلام المرأة في طفولتها من الوأد الذى طالما تعرضت له ، خشية الفقر ، أو مخافة العار ، قال تعالى :

■ **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا** (١) .

* وندد الاسلام بهؤلاء الذين كانوا يتبرمون بالانـــاث اذا ما رزقوا بهن ، فقال تعالى :

---

(١) سورة الاسراء : آية ٣١

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون »(١) .

* وكانت المرأة فى الجاهلية تورث كما يورث المتاع أو المال ، فاذا مات زوجها ، ورثها ابنه من غيرها ، أو أقرب عصبته ، ان شاء تزوجها بغير صداق ، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وان شاء عضلها — اى تركها معلقة لا هى بالايم ولا هى بالمتزوجة — لتفتدى نفسها منه بما ورثته عن زوجها ، أو تموت فيرثها .. !!

وأحيانا : يمسك الزوج امرأته مع كراهيته لها ، دون أن يقربها ، حتى تفتدى نفسها منه بما تملكه ، أو تموت فيرثها كذلك(٢) .

وقد جاء الاسلام فحرم كل ذلك ، فقال عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ... »(٣) .

وقد تعودت بعض قبائل العرب أن يخلف الابن على زوجة أبيه ، وكانت هذه الحالة شائعة فى الأنصار ، ومباحة فى قريش مع التراضى(٤) ، فانتقذ الاسلام المرأة من هذه المهانة ، وحرم على الأبناء ذلك ، مبينا ما فيه من قبح وبعد عن الكرامة ، فقال جل وعلا :

« ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا »(٥) .

---

(١) سورة النحل : الآيتان ٥٨ و ٥٩
(٢) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى : ٥/٩٤
(٣) سورة النساء : آية ١٩
(٤) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى : ٥/١٠٣
(٥) سورة النساء : آية ٢٢

* ونظم الاسلام الطلاق ، وقد كان أمره في الجاهلية فوضى ، يطلق الرجل امرأته متى شاء ، ويراجعها متى شاء ، ولو تكرر ذلك مائة مرة ، فجعل الاسلام الطلاق مرتين ، فامساك بمعروف » أو تسريح باحسان ، واعتبره ابغض الحلال عند الله ، وكفل للمرأة من الحقوق بعد الطلاق ، ما يكفل لها كل كرامة ورعاية ، ويوفر لأبنائها التنشئة الصالحة .

* وعنى الاسلام بوضع حد لفوضى الزواج في الجاهلية ، حين قيد تعدد الزوجات بأربع ، بعد أن كان مطلقا .. وحين اشترط فيه العدل في النفقة والمبيت ، والا وجب الاقتصار على واحدة ، وحين حرم الكثير من أنواع النكاح الشائعة ، حفاظا على كرامة المرأة ، وصيانة لشرفها .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء : نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، فاذا تبين : أصابها اذا أحب » وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، ويسمى هذا نكاح الاستبضاع !!

ونكاح آخر : يجتمع الرهط مادون العشرة ، فيدخلون على المرأة كل يصيبها ، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي ارسلت اليهم ، حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمى من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع منه ..

ونكاح رابع : يجتمع ناس كثير ، فيدخلون على المرأة ، لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، ينصبن على أبوابهن علامات تكون علما ، فمن ارادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت : جمعوا لها ، ودعوا القافة(١) ، ثم الحقوا ولدها بالذى يرون ، فالتاط به ودعى ابنه ، لا يمتنع من ذلك .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق : هدم نكاح الجاهلية كله « الا نكاح الناس اليوم(٢) » .

فأى درك كانت المرأة قد انحدرت اليه ؟ وأى دنس كان يحيط بها ؟ حتى أنقذها الاسلام ، واعتبرها حرما مقدسا ، لا يدخله أحد الا بكلمة الله » ولا يأخذه الا بأمانة الله .

* وانقذ الاسلام المرأة من الظلم والحرمان ، حين قرر حقها فى الميراث — وقد كانت محرومة منه — كما كانت ممنوعة من التصرف فيما تملك بغير اذن من الرجل ، فرد لها الاسلام حقها فى التصرف ، قال تعالى :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا »(٣) .

* ولم يكتف الاسلام بذلك ، بل عنى بتوفير الحماية للمرأة فى جميع أدوار حياتها ، واعفاها من مشقة السعى لكسب رزقها

---

(١) القافة : جمع قائف ، وهو العراف ، الذى كان يستدل به على والد الطفل فيلحق به !

(٢) التاج الجامع للأصول للشيخ منصور على ناصف : ٣٠٤/٢ — وقال : رواه البخارى وأبو داود .

(٣) سورة النساء : آية ٧ .

بنفسها : فهى مسئولة من أبيها حتى تتزوج ، ومن زوجها بعد الزواج ، ومن ابنها وهى أرملة ، وهكذا يتكفل برعايتها الأقرب فالأقرب ، حتى تلقى ربها .

* وبلغ من تكريم الاسلام للمراة ، أن اعتبرها جوهرة مكنونة ، يسعى الرجل اليها . ويخطب ودها ، ويدفع مهرها ، ولا يستطيع الوصول اليها ، الا عن طريق زواج شرعى ، يصون شرفها ، ويحفظ حقوقها ، ويوفر الحياة الآمنة لها ، والحماية الكافية فى حاضرها ومستقبلها .

* وبلغ من تعظيم الاسلام للمراة ، وتقديسه لسمعتها وشرفها ، أن جعل عقاب المفترى عليها ، أن يجلد ثمانين جلدة ، مع سقوط عدالته ، والحكم بفسقه ، قال تعالى :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاسقون »(١) .

أما عقاب المعتدى على شرف المراة . فهو الرجم حتى الموت . .

* وعنى الاسلام بحماية المراة من العناصر الدخيلة على الأسرة ، التى تواضعت الجاهلية على الصاقها بها ، عن طريق التبنى والادعاء ، مما قد يضعف من تماسك الاسرة ، او يعرض ربتها لما يمس الشرف والكرامة .

وهكذا حرم الاسلام التبنى ، وأمر بأن لا يدعى الرجل لغير ابيه ، قال عز وجل : **« ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم(٢) »** .

---

(١) سورة النور : آية ٤

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥

* وأوجب الاسلام على الرجل أن يحسن معاملته للمرأة ، واعتبر اكرامه لها مقياسا لكرم أصله ، وشرف منبته ، كما اعتبر اهانته لها دليلا على لؤمه وخسته ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء الا كريم ، ولا اهانهن الا لئيم »(١) .

* وزيادة فى رعاية الاسلام للمرأة ، وتوقيره لها ، حرم على غير المحارم النظر اليها ، وأمرهم بغض الابصار عنها ، تشريفا لقدرها ، وحرصا على كرامتها ، وسموا بمكانتها ، وتنزيها لها عن أن تكون مظنة لنزوات آثمة ، أو مثار شهوات دنيئة ، قال تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون(٢) » . وقال صلى الله عليه وسلم :

« النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، من تركها من مخافة الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه(٣) » .

* وتأكيدا لما تقدم من المعانى النبيلة ، أمر الاسلام المرأة كذلك ، بغض البصر ، وضرب الخمر ، وعدم الاختلاط بغير المحارم ، تنزيها لها عن الدنايا ، وتأكيدا لحرمتها وطهرها ، وتمييزا لها عن

---

(١) الجامع الصغير للسيوطى : عن الترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها ومن ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس ، وعن ابن عساكر من حديث على كرم الله وجهه ، باسناد صحيح .
(٢) سورة النور : آية ٣٠
(٣) كشف الخفاء للعجلونى : ٢٢٨/٢ ، وقال : رواه الحاكم وصححه .

العاريات الكاسيات ممن تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وزيادة ، وحماية لها من طمع الفساق والمستهترين ، قال تعالى :

« وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبـدين زينتهن الا لبعـولتهن او آبائهن .. »(١) الآية .. وقال تعـالى :

« يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما »(٢) .

*** ويصل الاسلام فى تكريمه للمرأة الى الأوج ، حين قـدم التفرغ لرعايتها على الجهاد فى سبيل الله . . . !!**

فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله : أردت أن أغزو ، وقـد جئت أستشيرك . فقال : « هل لك من أم » ؟ قال نعم . قال : « فالزمها فان الجنة تحت رجليها(٣) » .

*** وما زال الاسلام يزيد المرأة تشريفا وتعظيما ، واجـلالا وتكريما ، حتى كانت حجة الوداع ، حيث خطب النبى خطـابه الجامع ، فكان من أمهات الأمور التى عنى بالتوصية عليها ، والتنبيه اليها : التوصية بالنساء ، حيث قال :**

« أستوصوا بالنساء خيراً ، فانهن عنـدكم عـوان — أى

---

(١) سورة النور : آية ٣١
(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٩
(٣) رواه احمد والنسائى وغيرهما من حديث معاوية بن جاهمة السلمى .

كالاسرى — لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما اخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »(١) .

* * *

هذا بعض ما حققه الاسلام للمراة المسلمة من الحماية والكرامة ، ولا عجب فى ان يعنى الاسلام بالقضاء على كل الاوضاع الجائرة ، والتقاليد الفاسدة ، التى كانت المراة ترزح تحت عبئها ، لما لها من تاثير خطير فى كيان الاسرة ، التى يحرص الاسلام على قيامها قوية الجذور ، ثابتة البنيان ، سليمة من عوامل الضعف والانحلال .

مكانة المرأة فى بلاد الغرب

حصلت المراة المسلمة — منذ اربعة عشر قرنا — على هذه المكانة الرفيعة ، فى الوقت الذى كانت فيه اوروبا تعيش فى ظلمات القرون الوسطى ، حتى لقد اختلف اهل الرأى منهم فى حكم المراة وانسانيتها ؟ !

هل هى انسانة ذو نفس وروح عالية — كالرجل — أم لا ؟

وهل تلقن تعاليم الدين وتقبل عبادتها ام لا ؟

وهل تدخل الجنة والملكوت فى الآخرة أم لا ؟

وانتهى احد المجامع العلمية وقتئذ الى ان المراة حيوان نجس، لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ، وان يكم فمها كالبعير أو الكلب العقور ، لمنعها من الضحك والكلام ، لانها احبولة الشيطان !!

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١٥١/٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٢/٥

وبالرغم من تقدم المدنية الغربية ، ومظاهرها الخداعة فى تقديم المرأة فى المجتمعات ، وتقبيل يدها ، ومنحها المساواة المزعومة فى الحقوق مع الرجل .. بالرغم من كل ذلك : فان المرأة ما زالت تعامل معاملة جائرة ، وتحمل من الأعباء ما ينوء به كاهلها .

* فما زالت المرأة فى كثير من بلاد الغرب ، محرومة من حق الميراث الذى قرره لها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، كما أنها ما زالت محرومة من حق التصرف فيما تملك ، حتى أنه لم يعترف لها بهذا الحق فى انجلترا الا فى عام ١٩٢٦ ، بموجب قانون يجعل للزوجة الانجليزية شخصية مستقلة ، لها حق التصرف فى أموالها وأملاكها(١) .

*وفى أسبانيا — مثلا — فان المرأة المتزوجة : « ليس لها حق الملكية وليس فى استطاعتها أن يكون لها حساب خاص فى البنوك ، الا اذا حصلت على اذن كتابى من زوجها . الى أن تم افتتاح خمسة بنوك فى مدريد عام ١٩٧٤ تحمل اسم البنك النسائى ، تستطيع المرأة أن تودع فيها مدخراتها بدون الحصول على تصريح قانونى من الزوج !(٢) .

* وما زالت البنت فى كثير من بلاد الغرب مطالبة — عند بلوغها سن الرشد — بكفالة نفسها بنفسها ، واكتساب ما يقوم بأودها بأى وسيلة ، ولو أدى بها ذلك الى حياة التبذل والاستهتار .

* وما زالت المرأة هى التى تبحث بنفسها عن الزوج المنشود ، وتختلط فى سبيل ذلك بكل من هب ودب من الذكور ، وتتعرض لأقسى التجارب ، حتى توفق الى الرجل الذى تتراضى معه على الزواج ، بعد أن تتمكن من جمع المهر المطلوب منها ، لا منه !

---

(١) العلاقات الزوجية : لعبد السميع المصرى . ص ١٢
(٢) الأهرام فى ١٩٧٤/٥/٢٨

* وما زالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة الا فى سن القصور ، اما بعد ذلك « فان التغرير بها ، أو الاعتداء عليها ، لا عقاب عليه ، ولا سيما اذا تم عن تراض معها !!

* وقد كان قانون البغاء فى انجلترا الى عهد قريب يعتبر سن البلوغ للفتاة ، هو الثانية عشرة من عمرها ، حتى أن « مسز بتلر » لتقول منددة بالقانون المذكور :

« ان قانوننا من اجل اسباب الاغراء والزنا ، اذ يعتبر كل طفلة بلغت الثانية عشرة من عمرها ، امرأة كاملة العقل ، كاملة الادراك ، لهذا الغرض الوضيع فقط ، أى فى حالة سقوط هـذه الطفلة » (١) .. !!

واخيرا .. وبعد المحاولات المتوالية ، واللجـان التى شكلت لبحث موضوع البغاء ، وتعرض المئات من الفتيات للسـقوط ، واحترافهن البغاء فى سن الثالثة عشرة وما بعدها ، بمعرفة أمهاتهن، وموافقتهن ، سعيا وراء الربح الرخيص ، أو المعاونة فى نفقـات المعيشة ، بعد كل ذلك : نجح دعاة الاصلاح فى انجلترا فى دعوتهم الى اعتبار السن الذى تتحمـل فيه المرأة المسئولية كاملة عن عرضها « هو السادسة عشرة ، بدلا من الثانية عشرة !

ومع ذلك : فان التغرير بالفتيات الصغيرات لم يقف عند حد ، بل ازداد زيادة خطـيرة ، حتى ان الدكتور « ميشيل لاتهـام » احد الاطباء الباحثين البريطانيين ، يرى وجوب تزويد الفتيات فى سن مبكرة ، قبل ان يبلغن الخامسة عشرة ، بتدابير منع الحمـل لتفادى الزيادة المطـردة فى الطفـولة غـير الشرعية وحـالات الاجهاض(٢) .

---

(١) حرية الجنس : لايرين كليفين — ص ١٣٨
(٢) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور محمد البهى ص ٢٥٨

ان مسألة الحفاظ على عرض المرأة فى المجتمع الاوربى ، ليست ذات بال ، انما المهم فى نظر قادة ذلك المجتمع وولاة الأمر فيه ، هو منع الآثار المترتبة على الاتصالات الجنسية غير المشروعة، بحيث لا يترتب عليها أضرار ومشاكل ..

وهكذا : فان مجلس اللوردات البريطانى لم يجد حرجا فى اتخاذ قرار فحواه : **« ان الحكومة سوف لا تعارض فى جعل الاجهاض عملا مشروعا ، لجميع الشابات دون السادسة عشرة »(١) !!**

* وما زالت المرأة فى الغرب محرومة من أى حق قبل زوجها فى حالة طلاقه لها ، بل انها علاوة على ذلك ، مكلفة بالانفاق على أولادها مناصفة مع الرجل .

* وبالرغم من دعوى تحرير المرأة فى الغرب ، وتكريمها ، ومساواتها بالرجال ، فان ذلك لم يحل دون الزج بها للعمل فى المصانع والمكاتب لكسب رزقها ، أو الدفع بها الى الحانات والمراقص والمواخير للمتاجرة بعرضها ، أو القذف بها فى ميادين القتال للترفيه عن الجنود ــ بأوسع معانى الترفيه ــ دون مبالاة بما تتعرض له من أهوال الحروب ، ومعرة الأسر والسبى .

تلكم هى مدنية الغرب ، وذلك هو مبلغ تكريمهم للمرأة ، ويا له من تكريم يهدف الى استغلالها الى أقصى حد ، ويرمى الى تسخيرها لارضاء الشهوات ، واشباع النزوات ..

يقول فضيلة العلامة « مصطفى افندى صبرى » شيخ الاسلام فى دولة الخلافة العثمانية :

« ان من نظر الى مظاهر الغرب ، يحسب أهله يعبدون المرأة ويجلونها ، ومن هذه المظاهر : اعتبرت المرأة الشرقية مقهورة ،

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور محمد البهى ص ٢٦٠

منكودة الحظ ، لكن الحقيقة : أن الغربيين ومقلدتهم منا ، يعبدون هوى أنفسهم فى عبادة المرأة ، وما اجلال الرجل العصرى للمرأة ، وتقديمه اياها على نفسه ، الا نوعا من الضحك عليها ، لمخادعتها وجعلها اداة للهو واللعب » كما أن اخراجها من خدورها وستورها، معناه انزالها من عرشها المنيع ، الى أسواق الابتذال ، حتى أن اشتراكها فى اعمال الرجال ، الذى هو معدود من انتصارها ، وفوزها بالحقوق التى تخولها اياها مساواتها المدعى لها بالرجل : ما هو الا احتيالها لأعباء الحياة القاسية »(١) .

ويقول الدكتور محمد البهى :

« ان المرأة فيما مضى كانت تمهر .. وكانت ترث ، وهى الآن فى المجتمع الصناعى المعاصر ، قد لا تمهر ، وقد لا ترث ، ولكنها كما يقال تحررت ، فهى تعمل خارج المنزل ، وتأخذ الأجر على العمل ..

أليست هى الآن موضع استغلال من الرجل .. بسبب مالها الذى تحصل عليه من امكانية العمل والكسب ، فى صور عديدة ، .. قد لا تختلف عما كان عليه وضع المرأة فى العهد الجاهلى قبل الاسلام »(٢) ؟!

اعتراف المنصفين من كتاب الغرب -

ولقد أعترف كثير من عقلاء الغرب ، وكبار مفكريه ، واهل الانصاف فيه ، بسمو مكانة المرأة فى الاسلام ، ونادى البعض منهم بالأخذ بالنظم الاسلامية ، كحل لمشاكل المجتمع الغربى « حتى

---

(١) تولى فى المرأة : لشيخ الاسلام مصطفى أفندى صبرى — ص ١ و ٢
(٢) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور محمد البهى : ٢٨٧ و ٢٨٨

انتهى الأمر أخيرا بايطاليا — مهد الكاثوليكية — الى اباحة الطلاق ، خضوعا للواقع ، ومجاراة لاحتياجات الانسانية .

يقول العالم الفرنسى المشهور « جوستاف ليبون » :

« ان الاسلام قد اثر تاثيرا حسنا فى رفع مقام المراة اكثر من كثير من قوانيننا الأوروبية ، وخير طريقة لنقدر التاثير الذى احدثه الاسلام فى تحسين حال المراة فى الشرق ، أن نبحث عما كان عليه حالها قبل القرآن »(١) .

ويقول الفيلسوف الايرلندى الذائع الصيت « برناردشو » .

« فى المستقبل العاجل : عندما يريد الرجال المفكرون ان يلجاوا الى دين يحمى الفضيلة ويقى المجتمع ، ويكون سببا للحياة السعيدة فى البشر ، سيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذى يضمن لهم ذلك ، مع التقدم والنجاح .

ان الاسلام هو الدين الذى تجد فيه حسنات الاديان كلها ، ولا تجد فى الأديان حسناته ، ومن الممكن ان يصل الرجل الى اعلا درجة فى الفلسفة والعلوم ، ويكون مع ذلك مسلما تقيا »(٢) .

وهذه هى الكاتبة الغربية « مس انى رود » تقول :

« الا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والوقار ، وفيها الخادم والرقيق يتنعمان بأرغد العيش ، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ، ولا تمس الأعراض بسوء .. انه لعار على بلاد الانجلترا أن تجعل بناتها مثلا للرذائل ، بكثرة مخالطة الرجال ، ما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية ، من القيام فى البيت ، وترك أعمال الرجال ، سلامة لشرفها »(٣) ..

---

(١) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على : ٨٦/١ عن حضارة العرب لجوستاف ليبون .

(٢) مجلة الوعى عدد يونية ١٩٦٩ من مقال (عالمية الاسلام) لأنور الجندى .

(٣) جريدة الايسترن ميل (بريد الخارج) عدد ١٩٠١/٥/١٠

اما تعدد الزوجات الذى لا يستسيغه بعض مقلدة الغرب ، فان « جوستاف ليبون » يشيد بمزاياه ، قائلا :

« ان تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين ، اشرف من تعدد الزوجات الريائى عند الأوربيين ، وما يتبعه من مواكب اولاد غير شرعيين . وان النســاء المسلمات قد اخرجن فى غابر الدهر ، من الصــالحات المشهورات ، بقــدر ما تخرج مدارس الاناث فى الغرب اليوم »(١)

« ان الزواج بواحدة ، منكور فى قوانين الغرب فقط ، وقل ان كان محتفظا به فى الأخلاق(٢) .. »

وقد امتدح « شوبنهاور » شريعة المورمونيين الامريكيين ، التى تجيز تعــدد الزوجات ، واثنى عليهم لكونهم كما يقول : « قد ارشدوا النــاس الى شريعتهم القيمة ، التى نبذت القيود غير الطبيعية ، فى وحــدة الزوجة »(٣) .

وقد غفل الكاتب المذكور عن أن الشريعة القيمة التى اشــاد بذكرها ، قد سبقتها الاسلام الى ما هو اروع واعظم ، منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

موقف اعداء الاسلام من الاسرة ..

واذا كان ما ذكرناه من أقوال المنصفين من كتاب الغرب — وهو قليل من كثير — يكفى لايضــاح بعض ما غاب عن فطنة مقلدة المدنية الغربيــة ، من عظمة الاســلام ، فان التعصب الذى سيطر على آخرين من كتابهم ، بدافع الجهل بتعاليم الشريعة الاســلامية وفضائلها ، او بتأثير من الاحقاد الطائفية المتوارثة ، او التيــارات

---

(١) الاسلام والحضارة العربية لمحمد على : ٨٣/١
(٢) المصدر السابق : ٨٥/١ من حضارة العرب لجوستاف ليبون .
(٣) جريدة النفير : عدد ١٢ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ .

السياسية الاستعمارية ، حملهم على الوقوف من الاســـلام موقف التحدى والعداء ، لا سيما فيما يتعلق بنظامه الاجتماعى ، وما يتصل بذلك من أوضـــاع الاسرة المسلمة .

لقد بلغ الحقد بالدوق « داركور » الفرنسى ، انه بعد زيارته لمصر عام ١٨٩٤ ، انتقد نظام الاسرة المســلمة نقــدا مغرضــا ، وصور المراة المسلمة بصــورة بعيــدة عن الواقع ، حيث قال : « لا يمكن ان يجد النــاس طريقة اشنع ولا افظع لتعذيب المجرمين ، من الحــكم عليهم بأن يعيشوا عيشة النســاء المصريات »(١) !

ومن بعده كتب مسيو اتيين لامى الفرنسى يقول ما ملخصه :

« ان مقاومة الاســلام بالقوة لا تزيده الا انتشــارا ، وان الواسطة الفعــالة لهدم الاســلام وتقويض اركانه : هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية ، والقــاء بذور الشك فى نفوسهم من عهــد النشــأة ، فتفسد عقائدهمن حيث لا يشعرون ، .. وامثال هؤلاء اضر على الاســلام مما اذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بهــا » .

ثم يقول :

« .. ان تربية البنــات فى مدارس الراهبات هى التربية الوحيدة للقضاء على الاسلام بيد اهله ، لانها توجد للاسلام فى داخل حصنه المنيع ــ الاسرة ــ عدوة لداء ، لا يمكن للرجل قهرها ، لان المسلمة التى تربيها يد مسيحية ، يسهل عليها ان تؤثر على احساس زوجها وعقيدته ، فتبعده عن الاســلام ،وتربى ابناءها على غير دين ابيهم ، وفى اليوم الذى تغذى فيه الام ابناءها بلبــان هذه التربية ، تكون المراة تغلبت على الاســلام نفسه »(٢) .

---

(١) فصل الخطاب فى المراة والحجاب : للمرحوم محمد طلعت حرب (باشا) .

(٢) تربية المراة والحجاب : للمرحوم محمد طلعت حرب (باشا) ص ١٣٣ ــ عن مجلة العالمين الفرنسية عدد سبتمبر ١٨٩٦ .

وهذا الذى دعا اليه مسيو اتيين لامى منذ سنوات عديدة ، يعود الى تكرار ما يشبهه المستشرق « سنوك » حيث يقول فى تقرير له :

« انه لا فائدة من محاربة المسلمين او مجابهتم من اجل القضاء على الاسلام بقوة السلاح ، ولكن يمكن ذلك بواسطة ضربهم بعضهم ببعض من الداخل ، عن طريق زرع الخلافات الدينية والفكرية والمذهبية ، وتشكيك المسلمين فى نزاهة زعمائهم ، وفى نفس الوقت : يجب أن يغذى أبناء المسلمين بالعقائد الماركسية »(١) .

محاولة هدم الاسلام بتقويض الأسرة :

فالدافع الحقيقى الى محاولة تقويض نظام الأسرة : هو محاولة هدم الاسلام من القواعد ، لا سعيا الى نشر المسيحية ، أو تعريف المسلمين بها ، وانما لأن تعاليم الدين الاسلامى تقف عقبة فى وجه الاستعمار — شرقيا كان أم غربيا — وتدفع ابناء الاسلام الى مقاومة المستعمرين ، وتحرير الأوطان الاسلامية من سيطرتهم ، وتأبى عليهم الخضوع والاستسلام ، وتفضل لهم الاستشهاد فى سبيل الله على الحياة الطويلة فى ظل الأسر والاستعباد .

وفى هذا المعنى يقول الكاتب الفرنسى « روجيه جارودى » :

« كان الاسلام عاملا اساسيا فى كل حركات التحرير التى قامت بها الشعوب المستعبدة فى عصرنا ، وان النضالات الوطنية قد انطلقت جميعها ، تحت راية الجهاد فى سبيل الوطن ، وكان الاسلام فى أغلب هذه النضالات رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ، ضد الاحتلال والاستعمار »(٢) .

* * *

(١) أنباء العالم الاسلامى عدد ٢١٠ — مكة المكرمة فى ١٩٧١/١/٤
(٢) مجلة الوعى الباكستانية : عدد يونية ١٩٦٩ .

ومع ما بين الاستعمار الغربي والشرقي .. او مع ما بين الراسمالية الغربية والشيوعية الماركسية ، من فوارق سياسية او مذهبية ، فان موقف كل منهما من الدين الاسلامي ، والأمم الاسلامية كان واحدا ، فكلا المعسكرين يعمل على زحزحة ابناء الاسلام عنه ، وزعزعة عقيدتهم فيه ، هؤلاء بالدعوة الى اعتناق التعاليم المسيحية ، وأولئك بالدعوة الى الماركسية الشيوعية ، حتى يسهل على هؤلاء وهؤلاء استعمار البلاد الاسلامية ، واستعباد شعوبها .

اثر تحلل الاسرة في المجتمع الغربي :

ولا عجب ان يقف اعداء الاسلام موقف التربص من الأسرة المسلمة ، فانها بقيامها على أقوى الدعامات ، واسمى القيم ، كانت الحصن المنيع الذي في كنفه تربت الأجيال الاسلامية المتتابعة ، فسطرت في حياة البشرية اروع صفحات البطولة والفداء ، وضربت أعلى المثل في الفضائل والمكرمات .

وبالرغم من تخلف المسلمين في بعض الأقطار ، فما زالت الأسرة — الى حد كبير — هي الحصن الذي يعلق عليه الآمال ، لأنها ظلت — رغم ما تطرق اليها من عادات الغرب وتقاليده — تحتفظ بالكثير من فضائلها ومقوماتها ، بعكس الأسرة الغربية ؛ فانها — رغم تقدم المدنية والعمران — فقدت الكثير من مقوماتها ، وكان لذلك افدح الآثار في زلزلة دعائم المجتمع الغربي ، بصورة أزعجت ولاة الأمور في مختلف الدول ..

هذا هو مجلس الشيوخ الأمريكي — كما جاء في تقرير خطير للملحق الثقافي بالسفارة المصرية ، بعث به في مارس سنة ١٩٥٥ — وقد هاله انتشار الجريمة بين الطلاب ، يكون لجنة من اعضائه لبحث هذه المشكلة بحثا شاملا ، فتقوم اللجنة بالمهمة ، وتقدم تقريرا

عنها ، قيل انه أوفى ما كتب الى حينه فى جرائم الأحداث ، اسبابها ونتائجهـــا .

وبالرغم من أن هذا التقرير اقتصر فى بحثه على طلاب المدارس الثانوية والجامعات ، فانه تضمن حقائق فى غـــاية من الخطورة ، منهـــــا :

١ ـــ انه فى السنوات الخمس الأخيرة : زادت جرائم الأحداث بنسبة ٤٥ ٪ عما قبلها .

٢ ـــ ان عدد المنحرفين من الأحداث يقدر بمليون على الأقل ، وان هذا العدد سيرتفع الى ضعفه فى العـــام التالى ، ما لم تتخذ اجراءات حاسمة . .

٣ ـــ ان جرائم الأحداث بلغت حدا خطيرا من البشاعة ، دفعت بجماعات من الصبيان من أسر كريمة ، الى تخريب كل ما يصادفونه واقتراف جرائم القتل أحيانا ، بغية العبث والتفكه ، والقاء القنابل اليدوية على نوافذ المنازل ليلا ، دون ما هدف سوى اشباع الرغبة الجامحة نحو الاجرام . . !!

٤ ـــ ان ادمان المخدرات قد شاع بين الأحداث ، كما شاعت الحفلات المتحررة من كل قيـــد خلقى ، وكثر الاجهـــــاض بين الفتيات !

وقد عزا التقرير اسباب ذلكم التحلل الخلقى الى التغيير العميق الذى طرا على الاسرة ، فافقدها الاستقرار ، وادى بها الى الانهيار ، فضلا عما لوحظ من استهتار الآباء بالقيم والقانون ، فلم يعد الطفل يجد البيئة الصالحة ، ذات العرف الاجتماعى ، والتقاليد الفاضلة ، فانطلق الأحداث فى الشوارع ، وقد ترك لهم الآباء والأمهات الحبل على الغارب ، فاخذوا يستمتعون بالملذات ، فى حين يدفع الفتيات فى هذا السبيل الثمن غاليا(١) . . !!

* * *

(١) الاهرام فى ١٩٥٥/٣/٢٧

ولقد كان للمادية الصارخة ، التى سيطرت على المجتمعات الاوربية والأمريكية « ابعد الأثر فى تحلل الاسرة ، وتفكك عراها ، وفى هذا المعنى يقول المفكر النمساوى المسلم الأستاذ « ليوبولد فايس » :

« ان عصر الحرص على الروابط المتينة فى الأسرة ، قد تبدل فى الغرب الحديث بعصر من النظام الاجتماعى ، لا يعتبر فيه سلوك الابن نحو ابيــه ذا قيمة اجتماعية كبرى ، **وبالتالى : فان الوالد الاوروبى يفقد كل يوم شيئا من سلطته على ابنه ، والابن يفقد من احترامه لأبيه ، نتيجة لسيطرة الاعتبارات المادية على المجتمع ، والميل الى الغاء كل امتياز لفرد على آخر ، بما فى ذلك الامتيازات الناتجة من القرابة فى الأسرة ، ومع مرور الأيام : فسوف تصبح الصلة القديمة بين الأب وابنه نسيا منسيا .**

ثم يقول بعد ما تقدم :

« والى جانب هذا : فان العفاف والاحصان ، يصبحان مع الأيام خبرا ماضيا فى الغرب الحديث ، لأنهما مفروضان عن طريق الاعتبارات الخلقية ، التى ليس لها اثر محسوس فى رفاهية المجتمع المادية . وهكذا نجد ان الفضائل الخلقية القديمة التى يؤيدها الدين، أخذت تخلى مكانها بالتدريج ، لنزعات مادية ، تدعو الى حرية غير مقيدة للجسد البشرى ، أما ضبط النفس ، ومراقبة الصـــلات الجنسية ، فانهما يفقدان من أهميتهما بسرعة(١) » .

* * *

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق : للأستاذ ليوبولد فايس — ص ٤٢ — ٤٣

وفى اغسطس سنة ١٩٥٥ : دعت الأمم المتحدة الى عقد مؤتمر تحت اشرافها بجنيف حضره ٥٠٠ من الخبراء ، يمثلون ٥١ دولة ، لبحث مشكلة انحراف الأحداث ، وقد تضمنت تقارير هؤلاء الخبراء كثيرا من الحقائق الهامة ، منها :

١ — ان نسبة الانحراف بين الأحداث فى الولايات المتحدة ، التى تتمتع بأعلى مستوى من الرفاهية ، أعلا منها بكثير فى بريطانيا التى دمرتها القنابل ، ومع أن هذه النسبة تعتبر أعلا نسبة فى العالم ، فانها تتجه الى الزيادة ، فى حين انها فى بريطانيا تتجه الى الهبوط .

٢ — ان ضعف الروابط فى الأسرة ، لا سيما ، اذا كان الأب والام يعملان ، يؤدى الى التساهل مع الاحداث ، الأمر الذى يقود الى الانحراف .

٣ — ان الطفل الذى يشعر حقا انه ينتمى الى عائلة ، ويدرك انه يضطلع بدور مـا فى رفاهية الأسرة ، يكون فى العـادة افضل من غـيره .

٤ — ان نسبة الزيادة فى الانحراف مخيفة ، وان ٧٠٪ من المجرمين يبدأون عهد الاجرام ما بين الرابعة عشرة ، والثانيـة والعشرين ، ويشمل انحرافهم كل النواحى ، بما فى ذلك تنـاول المخدرات ، والشذوذ الجنسى(١) !!

يقول السـير الفريد دينتج فى مقال له « ان اكثرية المجرمين من الأطفال غير البالغين تخرج من أنقاض اسر محطمة »(٢) .

* * *

---

(١) الاهرام فى ٢٠/٨/١٩٥٥

(٢) الاسلام يتحدى : لوحيد الدين خان — ص ١٨٥

وقد ادى تحلل الأسرة فى المجتمع الأمريكى ، والزهــد فى تحمل مسئولياتها ، انه اصبح فى استطاعة المرأة التى لا ترغب فى التزام القيم والتقاليد التى تحكم الأسرة ، ان تنجب ما تشــاء من الأولاد ، عن طريق الاتصالات غير المشروعة ، او عن طريق التلقيح الصناعى ، حتى ان عدد الاطفال الذين ولدوا فى السنة المنتهية فى اول سبتمبر سنة ١٩٥١ ، بواسطة التلقيح الصناعى ــ طبقا لاحصاء رسمى نشرته الحكومة الأمريكية ، بلغ ٨٠ الفا ، وانه ازاء اقبــال النساء على هذا النوع من التلقيح ، تكونت نقابة لمقدمى الســائل المنوى ، وحددت اسعار المرة الواحدة بمائة دولار(١) !!

ومن ناحية اخرى : فان تفكك الأسرة الأمريكية ادى الى زيادة عمليات الاجهاض زيادة فاحشة ، الأمر الذى اضطر الحكومة ــ خضوعا للأمر الواقع ــ الى ان اصدرت فى يولية سنة ١٩٧٠ قانونا يبيحه بولاية نيويورك .

وهكذا : بعد ان كان الاجهاض يتم فى الخفاء ، اصبح مسألة عادية ، تقوم بها المستشفيات العامة ، والعيــادات الخاصة على الســواء .

وبعد ان كان فضيحة مخجلة ، تحول الى تجارة رابحة ، يعلن عنها فى الجرائد الكبرى !!

وقد بلغ عدد عمليات الاجهاض التى اجرتها المستشفيات والعيادات الخاصة ، خلال ٢٠ شهرا من صدور القانون ١٢٢ر٢٧٨ عملية ، مع العلم بأن هذه الجهات لا تجرى العملية الا اذا كان الحمل دون الثلاثة اشهر .

اما ما زاد عن ثلاثة اشهر من عمليات الاجهاض ، فلا دخل له

---

(١) النداء : فى ١٩٥١/٣/١٨

فى هذا الحساب ، لأنه يتم داخل مؤسسات أو منظمات خاصة ، بأسعار خيالية !!

فتحت باب الاعلانات المبوبة : نشرت جريدة « نيويورك بوست » اعلانات عن المؤسسات الخاصة بالاجهاض ، هذه عينة منهـــا :

صورة زنكوغرافية للاعلان

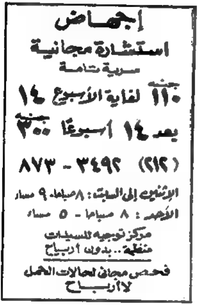

الترجمة العربية للاعلان

وجاء فى اعلان آخر :

« عمليات اجهاض طوال ٢٤ ساعة ، فى الصباح وفى الليل ، ولانك تفكرين فى صحتك ، فهذا يتطلب قدرا كبيرا من الرعـــاية الطبيـــة .

وتقابل الكنيسة الدعوة الى الاجهـــاض ، بدعوة مضادة الى الانجـــاب . . !!

وفى نفس الصحيفة التى نشرت الاعلانين السابقين ، نشرت الكنيسة الاعلان التالى :

«قبل أن تجرى عملية الاجهاض اتصلى بنا .. لدينا حل آخر .. الانجاب ، ونحن نضمن لك مساعدة سرية »(١) .

* * *

وبالرغم من ان موقف الكنيسة كان موقف المعارضة للاجهاض الا انها لم تقدم حلا لأسباب ذيوعه فى المجتمع الأمريكى ، كنتيجة لتفكك الأسرة ، وانتشار العلاقات غير الشرعية بين الجنسين .

بل ان موقف الكنيسة قد يساعد على الاتبال على العلاقات غير المشروعة ، ما دامت المساعدة السرية ، تقدم للفتيات اللاتى يحملن سفاحا ..!!

ومع ذلك : فان اعتراض الكنيسة كان له صداه ، فارتفعت الأصوات مؤيدة لرأيها ، واضطر الرئيس نيكسون ــ الذى صدر فى عهده قانون اباحة الاجهاض ــ الى أن يعلن فى رسالة بعث بها الى احد الأساقفة : « ان الاجهاض لا يتفق مع الدين ، وتقاليد الحضارة الغربية » وطالب « باعادة النظر فى قانون اباحة الاجهاض، التى أخذت بها بعض الولايات »(٢) .

وهكذا : فان المجتمع الأمريكى يقف موقف التردد والحيرة من مشاكل الأسرة .

لقد أدى هذا التفكك الى ذيوع العلاقات غير المشروعة بين الجنسين ، وترتب على ذلك مئات الألوف ــ سنويا ــ من حالات الحمل سفاحا ..

واصدرت الحكومة قانونها باباحة الاجهاض ، كحل للمشكلة ..

---

(١) الأهرام فى ١٩٧٢/٢/٢٧

(٢) الجمهورية فى ١٩٧٢/٥/٨

ولكن الاباحة كشفت عن حقائق خطيرة منها :

١ — ان الاتصالات الجنسية غير المشروعة ، توشك ان ترجح فى كثرتها العلاقات الشرعية ، القائمة على الزواج ، ومعنى ذلك هو مزيد من التفكك بالنسبة للأسرة والمجتمع .

٢ — أن هذه الاتصالات يترتب عليها حرمان الدولة من مئات الألوف من المواليد الذين يتم القضاء عليهم بالاجهاض .

٣ — أن هذه الحالة تهدد الدولة بتناقص تعدادها ، واضعاف شوكتها . .

فما هو الحل ؟!!

ذلك ما قصرت الكنيسة عن ايجاده ، وعجزت الحضارة الغربية عن الوصول اليه .

ولكن الحل الوحيد يقدمه لنا الاسلام الحنيف . .

لقد عنى الاسلام بالتشجيع على الزواج باعتباره الوسيلة الوحيدة للعلاقات الجنسية السامية ، وانكر الدعارة فى اى صورة من صورها . .

واقام الأسرة على احكم نظام ، وأسسها على الفضيلة والتقوى . وأحاطها بكل حماية ووقاية ضد العواصف والأهواء . .

وبذلك وقف الاسلام سدا منيعا دون شيوع العلاقات غير الشرعية ، وما يترتب عليها من حمل واجهاض .

* * *

وبالرغم من اختلاف النظام فى المجتمع الشيوعى ، عنه فى المجتمع الرأسمالى الغربى « فانه لم يكن أسعد حظا ، فقد انتشرت فيه جرائم الأحداث ، نتيجة تفكك الأسرة ، حتى أن الدكتور « خارشيف » الخبير الاجتماعى السوفيتى ، نشرت له جريدة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى ، مقالا جاء فيه :

« ان نسبة ٨٠٪ من جميع حالات مخالفة القانون التى يقترفها المراهقون ترجع الى تفكك الأسرة »(١) .

* * *

هذا قليل من كثير مما تموج به المجتمعات العصرية من عوامل التحلل ، نتيجة انهيار الأسرة وضعف روابطها ، وهو ما زالت البلاد الاسلامية — الى حد ما — معافاة منه — رغم ابتعادها عن الاسلام فى نظامها العام — بتأثير التقاليد الاسلامية الفاضلة ، التى ما زالت الأسرة تحتفظ بالكثير منها ، لا سيما فى البلاد والقرى التى لم تستطع المدنية الزائفة أن تغزوها الا بمقدار .

لماذا توجه السهام ضد الأسرة ؟

ولقد كان احتفاظ الأسرة المسلمة بكيانها — رغم ما وجه الى المسلمين من ضربات ، وحل بهم من مآسى ونكبات — من أهم الأسباب التى مكنت المجتمع الاسلامى ، من مقاومة الغزو الأوروبى ، سياسيا وعسكريا وفكريا ، رغم احتلال الكثير من أقطار الوطن الاسلامى ، ... ذلك أن البقية الباقية من التقاليد الكريمة ، التى لم يتطرق اليها التغيير فى الأسرة المسلمة ، كانت كافية لتذكرة المسلمين بأمجادهم الغابرة « وحثهم على الصمود والثبات ، واشعارهم بالأخطار التى تهددهم من جراء التقليد الغربى ، الذى ابتعد بهم عن مصدر قوتهم ، وسبب عزمهم وظهورهم .

ومن هنا رأينا متعصبة الفرنجة فى نقدهم للاسلام ، لا يعيبون على المسلمين صلاة أو صياما « ولا زكاة أو حجا ، مع أن هذه هى أركان الاسلام وقواعده « وانما عابوا عليهم نظامهم الاجتماعى ،

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور البهى : ٢/١٢٦

لا سيما ما يتصل منه بالأسرة المسلمة ، وما كفله لهـا من أمن واستقرار ، وما احاط به المرأة من حفاظ وخفر ، وحماية وصون ، لأن معنى ذلك فى نظرهم : هو ان النواة الأصلية للمجتمع الاسلامى ما زالت بعيدة عن سهامهم ، آمنة من غرورهم ، الأمر الذى أقلق بالهم ، واقض مضاجعهم » وحملهم على تعبئة الجهود للنيل منها ، والقضاء عليها .

وهكذا تحولت الدول الاستعمارية ، بالتعاون مع الهيئات التبشيرية . الى انشاء المستشفيات والمدارس ، بقصـد ايصال أفكارهم » ونشر سمومهم — عن طريق الخدمات الطبية والتعليمية — بين النشء الجديد ، وخاصة الفتيات المسلمات ، سعيا منهم الى تغيير تقاليد الأسرة المسلمة . وتقويض الدعائم المتينة التى تقوم عليها ، عن طريق تربية البنت تربية تجعل منها — كما يقولون : **« عدوة لداء فى داخل حصنه المنيع ، لانه فى اليوم الذى تغذى فيه الأم ابناءها بلبان هذه التربية ، تكون المرأة تغلبت على الاسـلام نفسه ، وبذلك : يتم القضاء عليه بيد أهله »(١) .**

* * *

ولا تختلف الشيوعية الشرقية كثيرا — فى نظرتها الى الأسرة المسلمة — عن الاستعمار الغربى .

ولقد كان من أهم الموضوعات التى عنى بدراستها : « المؤتمر الروسى للعلوم والأبحاث النظرية ، الذى عقـد فى « مجشكالا » عام ١٩٦٠ ، موضوع :

■ **مخلفات الدين الاسلامى .. ووسائل التغلب عليها** ■

وقد جاء فى تقرير قدمه دكتور « ايلى كارلى » الى المؤتمر المذكور ، عن : « الاسلام كأداة لاستعباد المرأة » ما نصه :

(١) مجلة العالمين الفرنسية : سبتمبر ١٨٩٩ .

« ان مخلفات الدين الاســلامى التى تنطــوى على السلوك الاقطاعى تجاه المراة ، لا تزال باقية فى بعض الجهات ، وتتمثـل بصورة رئيسية فى تقييد اشتراك النساء فى الحياة الاجتماعيــة والسياسية ، وفى تعدد الزوجات ، ومهر العروس ، وهى تقاليد تتناقض مع مذهبنا الاشتراكى ، وقوانينا الشيوعية ، ولهذا : فان من الضرورى ان نخوض كفاحا مجردا من كل رحمة او تسامح ، ضد جميع هذه المخلفات ، ليس فقط عن طريق توقيع العقوبات الصارمة ، وفقا للقانون ، بل والقيام فى كل مناسبة من المناسبات ، بخلق راى عام ساخط ، يندد باولئك الذين يتمسكون بهذه العادات والتقاليد الضارة »(١) .

* * *

والذى لا شك فيه : أن أعداء الاسلام قد نجحوا ــ بمقدار ــ فى تنفيذ مخططاتهم . ووصلت بعض سهامهم فعــلا الى « الحصن المنيع » الذى كانت الأمة ــ وما زالت ــ تعتصم به ، فأخذت الأسرة بكثير من تقاليد الغرب ، وأصبح اختلاط الجنسين أمرا معتادا فى المجتمع ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد واصلت الفتاة المسلمة طريق التقليد الأعمى للمدنية الغربيــة ، فارتدت المينى جيب ، والميكروجيب ، واخذ الشباب بأسباب التخنث والاباحيــة ، من الوجودية ، الى الخنافس ، والهيبيز ، الى غير ذلك من المحدثات التى تتعارض مع ما ينشده الاسلام فى أبنائه من ايمان وفروسية .

صلة النكسة .. بتحلل الأسرة :

وقد أدى ابتعاد الأسرة عن تقاليدها الفاضلة ، وتأثرها بسموم المدنيــة الغربيــة التى ازدادت ذيوعا وانتشـــارا ، فى الوقت الذى تحولت فيه التربية الدينية ، الى مجــرد معلومات نظرية ،

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور محمد البهى : ٨٩/٢ ــ ٨٢

لا تطبيق لهـــا ، ولا حساب على هجرها .. ادى كل ذلك وغيره الى ضعف الروح المعنوية فى المجتمع الاسلامى ، هذه الروح التى لا مصدر لها الا بالايمان بالله ، والاعتصام بحبله ، والحرص على طاعته ، والعض بالنواجذ على كتابه وسنة رسوله .

وقد يتعذر على البعض ان يدرك الصلة الوثيقة بين ما وصل اليه المجتمع الاسلامى من تطور فى التقاليد ، وبعد عن الدين ، وبين ما أصاب الأمم العربية والاسلامية من هزائم ، لا سيما فى كفاحها ضد الغزو الصهيونى فى السنوات الأخيرة .

ولكن الذى لا شك فيه : هو ان عدونا لم ينتصر علينا بكثرة العدد ، ولا بوفرة العدة ، فقد كنا ـ وما زلنا ـ اعز جانبـــا واكثر نفيرا ، وانما انتصر علينا بمزيد عنايته بتقوية الروح المعنوية ، عن طريق التربية الدينية الموجهة ، والتعبئة الروحية العميقة الجذور ، وهذا فى الوقت الذى اهملنا فيـــه الروح المعنوية ، والتعبئـــة الروحيـــــة .

* * *

فى المؤتمر الصحفى لوزير الأوقاف ، المنعقد فى ١٩٦٩/٦/٢٥، جاء فى حديث اللواء اركان حرب (حسن البدرى) مدير الأكاديمية العسكرية العليا ، ما يأتى :

« لم يكن ينقص القوات المسلحة العتاد ، ولم يكن ينقصـــها الذخائر ، ولم يكن ينقصهم الأفراد ولا القادة ولا الخطط ، ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية » !!

■ كانت العقيدة لا شك مهزوزة ، وكانت الماديات قد تسلطت على الفكر والعقل ، بما حجب السلاح الحقيقى .. السلاح الاول ، وهو سلاح الايمان والعقيدة » !!

« ان هزيمة التاسع من يونية ، ليس مرجعها الى قدرات

خارقة للعدو ، او قصور مادى فى القوات المسلحة العربية ، ولكن الهزيمة كانت من انصراف المسلمين عن المعنويات ، وتحولهم الى الماديات تحولا كاملا .. » !!

« لقد ذهبنا الى الميدان .. ونحن لا نعلم لماذا نذهب » ؟!

« ومكثنا فى الميدان .. ونحن لا نعلم لماذا نرابط » ؟!

« وأمرنا ان نعود من الميدان ، ونحن لا نعلم لماذا عدنا » !!

« فكان ان وقعت الهزيمة ، وكانت هزيمة ساحقة ، دمر فيها ٨٠٪ من أسلحتنا ومعداتنا ، واستشهد فيها آلاف من جند العرب »(١) !!.

* * *

هذا هو حالنا الذى كنا عليه ، وهذه هى اسباب هزيمتنا ونكستنا ، فكيف كان حال عدونا ؟

فى حديث للكاتب الأمريكى « هرمان ووك » مع بن جوريون ، سأله الأخير سؤالا له مغزاه ، حيث قال :

كيف يمكن أن يقاوم اليهود الفناء فى العالم كله ؟ .

فأجابه الكاتب الأمريكى : عن طريق الدين !! .

وكان رد بن جوريون : هذا هو الطريق الوحيد(٢) .

ويعلق الكاتب على ذلك قائلا :

« ان اليهود اختلفوا فى اللون والملامح واللغة ، الا انهم اتفقوا على شىء واحد ، التوراة والتلمود ، فهذا الترابط الدينى الشديد هو الذى جعلهم اقوياء .. والعلاقة الروحية هى التى شدتهم ، وبعد ذلك : استعانوا بالمال والعلم على البقاء » .

---

(١) التوجيه الاجتماعى فى الاسلام : ٢/١٢٧ و ١٢٨ لمجمع البحوث الاسلامية .
(٢) أخبار اليوم فى ١٩٦٨/٦/٨ - من مقال لأنيس منصور .

وفى اسرائيل شعور متزايد ، هو رد فعل لروح الشباب والاستخفاف المنتشرة ، ولذلك فان الشعارات تتعالى من جديد : ان الدين أبقى الأجداد والآباء ، والدين وحده سوف يبقى الأبناء والأحفاد » (١) .

وبديهى أن الأسرة هى المجال الأول لغرس الايمان بالله ، وتربية النشء تربية دينية صحيحة .

* * *

هذا هو شأن قلة من اليهود لا تتعدى مليونين أو ثلاثة ، تمسكت بباطلها ، وآمنت به ، واجتمعت حوله ، فاستطاعت ان تصمد للفناء الذى كان يهددها ، وأن تقاوم الكثرة المحيطة بها ، وأن تنتصر فى النهاية عليها . . ولو الى حين .

فكيف يكون شأن مائة مليون من العرب — فضلا عن سبعمائة مليون من المسلمين ، لو اجتمعوا حول الاسلام ، وهو الدين الحق الذى لا ريب فيه . . انهم لن يستطيعوا مقاومة اسرائيل فحسب ، بل انه لن تستطيع قوة فى العالم ان تقف فى سبيلهم .

* * *

وليس أدل على ذلك : مما توافرت به الأنباء عن معركة العاشر من رمضان من اقتحام جنودنا الأبطال للقنال ، وهم يكبرون ويهللون . . واكتساحهم حصون بارليف ، دون أن يصيبهم من الضرر الا أذى ، ولا يستشهد منهم الا الأقلون . !

لقد قدر خبراء الحرب خسارة لا تقل عن ٧٥٪ من القوات التى تحاول عبور القنال ، ولكن رعاية الله لجنده ، جعلت هذه الخسارة لا تتعدى النصف فى المائة ، لأن الايمان بالله ، والتسلح

(١) اخبار اليوم فى ١٩٦٨/٦/٨ من مقال لأنيس منصور .

بطاعته ، جعل هؤلاء الأبطال أهلا لنصره وتأييده ، وأهلا لرعايته وحمايته ، فهزمت تكبيراتهم أعداء الله ، قبل أن تفتك بهم طلقــات المدافع والصواريخ .!!

يقول الفريق سعد الدين الشاذلى ــ الذى قاد المعركة فى الميدان ، ورأى الكثير من آيات البطولة والفداء رأى العين .

« لقد كان ايمان الرجال بنصر الله مصدر طاقة هائلة ، دفعتهم الى انتزاع قوى البغى والعدوان ، من فوق ارضنا الحبيبة »(١) .

ويقول مراسل وكالة الأنباء الألمانية « ماتياس هارت » يصف ما شاهده من روح عالية فى جنودنا الأبطال .

« ان أكثر ما شدنى هو هؤلاء الجنود وصيحاتهم : الله اكبر ، انها روح قلما تتوفر لجيش محارب ، انها معركة تفخر بها مصر كلهــا »(٢) .

ويقول « هنرى تانر » مراسل نيويورك تايمز :

« لقد كان الجنود المصريون فى حالة معنوية عالية ، وكانوا غير عابئين فيما يبدو بقذائف المدفعية الاسرائيلية .. لقد صــاح بنا واحد من ثلاثة جنود شبان : « لا تقلقوا .. ان الله معنا ؟ .. » وذلك حينما رآنا نسارع الى الاختباء عندما انفجرت قنبلة قريبة ، أما المصريون الثلاثة : فقد بقوا حيث هم واقفين على تبة .. »(٣) !!

فما معنى كل ذلك وغيره ؟؟

لقد كنا فى سنة ٦٧ لا نقل عن اسرائيل عدة وسلاحا ، ومع ذلك فقد هزمنا شر هزيمة !!

---

(١) الأهرام فى ١٩٧٣/١٠/١٠
(٢) الأهرام فى ١٩٧٣/١٠/١١
(٣) الأهرام فى ١٩٧٣/١٠/١٣

ولقد كانت اسرائيل فى العاشر من رمضان لا تقل عنا عدة وسلاحا ، وتتفوق علينا بالفاصل المائى ، وبالحصون المجهزة بكل أسلحة الدمار والفناء ، ومع ذلك فقد ولى جنودها الأدبار !!

معنى ذلك : ان العامل الفعال ، والقوة المرجحة فى القتال ، هى قبل كل شيء قوة الايمان ، أو كما يقول القائد العام : الفريق أحمد اسماعيل : « **ان السلاح بالرجل .. وليس الرجل بالسلاح**»(١) ..

ويؤكد هذه المعانى ما ذكره الفريق سعد الدين الشاذلى فى حديث مع الأخبار عن رعاية الله وتأييده ، حيث قال :

« لقد كانت أصعب الأيام : هى الأيام الثلاثة الأخيرة — أى قبل المعركة — فهى تقتضى تحركات معينة ، تحتاج الى دقة شديدة فى التقدير لاخفاء هدفها ، ولكنها اولا واخيرا رعاية الله لنا ، هى التى مكنتنا من تحقيق المفاجاة بالصورة التى تمت بها .. » ..

ثم قال :

« ان ديان لم يضع فى حسابه الاثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الألوف وهى تعبر القناة ، وتصيح فى وقت واحد : الله اكبر الله اكبر . لا اعتقد انه ادخل ذلك فى حساباته »(٢) .

لا عزة للمسلمين بغير الاسلام

لقد عز المسلمون الأوائل وسادوا بالاسلام ، حين اعتصموا به ، فاتخذوه لأنفسهم شرعة ومنهاجا ، ولدولتهم حكما ودستورا ، فأقاموا بيوتهم على الطهر والتقوى ، ومجتمعهم على الايمان والفضيلة ، فلم يضرهم ما كانوا فيه من قلة أو فقر ، وما كان عليه أعداؤهم من كثرة وصولة .

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٣/١١/١٨

(٢) الاخبار فى ١٩٧٣/١١/٢١

كانوا فى سرية مؤته ثلاثة آلاف ، وقد وجدوا انفسهم تجـاه مائتى الف من الروم وأحلافهم ، فوقف بينهم عبد الله بن رواحة يذكرهم بالحقيقة التى لا شك فيها ويقول :

« يا قوم : والله ان الذى تكرهون ، للذى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احـدى الحسنيين ، اما ظهور ، واما شهادة »(١) :

وكانوا فى القادسية سبعة آلاف ، يواجهون مائة وعشرين الفا ، يتبعهم ثمانون الفا آخرين ، فلما علم أمـير المؤمنين عمـر ابن الخطاب بذلك ، كتب اليهم يقول :

« .. كونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسـلمون بمعصية عدوهم لله . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضـل علينا فى القـوة ، والا ننصر عليهم بفضـلنا لم نغلبهم بقوتنـا »(٢) .

* * *

وهذه الحقائق التى وصـل الاسـلام اليها ، وقامت دعوته عليها ، منذ أربعة عشر قرنا ، هى نفس الحقائق التى وصل اليها أخيرا كبار قادة العرب وزعماؤه !!

حينما هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية ، واستطاع بضع مئات الالوف من الالمـان أن يكتسحوا خط « ماجينو » فى خمسة عشر يوما ، رغم الأربعة ملايين من الجنود الذين كانوا

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى : ٣٨/٢
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه : ٣٧/١ فى وصايا امراء الجيوش .

يقفون خلف حصونه .. لم يكن ذلك لأن الألمان اكثر عددا وعدة ، وانما لأن الفرنسيين كانوا أضعف ايمانا وخلقا ، حتى ان المارشال « بيتان » — رئيس الدولة الفرنسية فى ذلك الحين ، لم يتردد فى مصارحة ابناء وطنه بذلك ، فقال لهم فى خطابه الذى اذاعه فى ٢٥ يونية سنة ١٩٤٠ ، موضحا أسباب الهزيمة ، ومنبها الى عوامل النصر :

« لقد جاءت الهزيمة من الانحلال ، فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحية ، وانى ادعوكم اول كل شىء الى نهوض اخلاقى » ..

ثم قال :

« انه لا سبيل لانهاض فرنسا من كبوتها ، واقالة عثرتها ، الا باقامة صرح الأسرة من جديد ، وتقوية اواصرها . وتقديس تقاليدها وانظمتها » ..

وهكذا استبدلت باقانيم فرنسا الثلاثة — الحرية والاخاء والمساواة — اقانيم جديدة ، أولها وعلى راسها الاسرة(١) .

* * *

ولقد استفاد المارشال « مونتجومرى » — قائد الجيش الثامن فى شمال أفريقيا ، استفاد من هذا الدرس ، فحرص على تسليح جنوده بالأخلاق والدين ، سعيا الى رفع معنويتهم ، وتثبيت اقدامهم ، حتى انه ليقول فى خطاب له القاه يوم الرابع من مارس سنة ١٩٥١ :

« ان قصة الجيش الثامن تنطوى على مغاز روحية عظيمة ، الى جانب مغزاها العسكرى ، **فقد دلت على ان اهم عوامل الانتصار فى الحروب ، هو العامل الأخلاقى .. ويقينى ان الجيش اذا سار بدون مرضاة الله ، فقد سار الى غير هدى » .**

---

(١) الزواج والمرأة : لأحمد حسين . ص ٢٠

ثم قال المارشال (مونتجومرى) .. مواصلا حديثه :

« وعلى كل جيش ان يشن حربا داخلية لتنظيم صفوفه ، قبل أن يفكر فى شن حرب خارجية ضد أعدائه ، لان خطر الانحطاط الخلقى فى افراد الجيش ، أعظم من خطر العدو ، لذلك لا نستطيع ان ننتصر فى اى معركة « الا اذا انتصرنا على انفسنا قبـل كان شىء »(١) ..

وهذه المعانى التى تضمنها خطاب « مونتجومرى » ما هى الا ترداد لمـا جاء فى خطاب الفاروق من أن « ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم » .

اما قوله بانه لابد لاحراز النصر على العدو ، من الانتصار قبل كل شىء على النفس ، فقد ورد نفس المعنى فى حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :

« رجعنا من الجهاد الاصغر .. الى الجهاد الاكبر » اى جهاد النفس .

* * *

فبالاسلام قبل كل شىء ساد المسلمون فى الماضى ..

وبالاسـلام فوق كل شىء يسـود المسـلمون فى الحـاضر والمستقبل ، باذن الله .

فلا مناص امامنا ــ اذا كنا نريد لأنفسنا الكرامة ، ولأمتنا العزة ، من أن نشيد صرح الدولة على التقوى ، كما شاده الأولون . وأن نقيم قواعد الأسرة على التقاليد والقيم التى أقاموها عليها ، لتعود سيرتها الأولى ، ولتكون بحق ، كما كانت فى الماضى ــ وكما شهد بذلك خصوم الاسلام ــ الحصن المنيع « الذى تتحطم عليه كل

---

(١) الاهرام فى ١٩٥١/٣/٥

الغارات المنظمة ضد الاسلام ، وتتراجع امامه كل القوى الطامعة فى القضاء على المسلمين ، فانه لن يصلح اواخر هذه الامة ، الا بما صلح به أوائلها ، وبذلك : نكون بحق قد اعددنا بناء الأمة على أساس من العلم والايمان ، اذ أن الأسرة هي حجر الأساس لكل بنـــــاء .

جهالات الكتاب المعاصرين من مقلدة الغرب :

وبالرغم من وضوح الحقائق التي ذكرناها . .

وبالرغم من أن بعض كبار قادة الغرب ومفكريه انتهوا اليها ، وسلموا بها . .

بالرغم من كل ذلك : فان بعض الكتاب المعاصرين من مقلدة الغرب واذنابه ، اخـــذوا دون وعى يرددون بعض آراء أعـــداء الاسلام ، وينشرون سمومهم ، ويعملون جهدهم على الدعوة الى تقليد الغرب فى كثير من أوضـــاعه الاجتماعية ، وصـــبغ الأسرة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى بالصبغة الغربيـــة ، التى خدعتهم مظاهرها ، وجذبتهم مفاتنها ، وهم يحسبون أنهم بذلك يحسنون صنعا ، وأنهم يرفعون من قدر المرأة والأسرة ، فى نظر سادتهم من أهل الغرب ، الذين تتلمذوا عليهم فى الدراسة ، أو تأثروا بهم فى العادات والتقـــاليد .

ولم تقف الضلالة بهؤلاء عند هذا الحد ، حتى ذهبوا يلتمسون لجهالاتهم سندا من كتاب الله وسنة رسوله ، فتأولوا الآيات المحكمة بما يتفق مع اهوائهم ، وجعلوا من المتشابهات أساسا يعتمدون عليه ، وتجاهلوا السنة العملية — لمـــا كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم » وأصحابه الأبرار — التى وردت الأخبار الصحيحة بها ، فقلبوا الكثير من اوضاع الأسرة ، وزيفوا الكثير من تقاليدها الكريمة ، ليبرروا ما انزلقوا اليه من أوضاع ينكرها الاســـلام ، أو تورطوا فيه من جهالات يبرأ منها الدين ، وصدق فيهم قول الله تعالى : « **هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم**

الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعــون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله »(١) .

* من هؤلاء : من زعم أن الاســلام قد سبق الغــرب الى مساواة المرأة بالرجــل ومشاركته فى ســائر مناحى النشاط . واستدلوا على ذلك بحضورهن صلاة الجماعة واشتراكهن مــع الرجال فى الحج ، وخروجهن بصحبة الجيوش ، ومساهمتهن فى القتال !!

* ومن هؤلاء من استنبط مما تقدم : ان الاسلام لا يمنــع المرأة من مشاركة الرجل فى ممارسة الحقوق العامة ، مستدلا على زعمه بما حدث فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين دعا الى عدم المغالاة فى المهور ، فاعترضته احدى النساء بقول الله تعالى : « وآتيتم احداهن قنطــارا فلا تاخذوا منه شيئا » .. وبان المرأة باعتبارها — كالرجل — من دافعى الضرائب ، فمن حقها أن تتمتع بكل الحقوق السياسية سواء بسواء ..!!

* وأضاف آخرون الى ما تقدم من ادلتهم الداحضة : أكاذيب انتقوها من كتب التــاريخ أو الأدب ، ممـــا بين المحققون زيفها ، من ذلك :

١ — أن السيدة فاطمة رضى الله عنها قامت بنصيب كبير فى الدعوة الى اسناد الخلافة الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه !

٢ — ان السيدة عائشة رضى الله عنها تزعمت تزعما مباشرا الحركة المضادة لخلافة على كرم الله وجهه ، ونادت بوجوب خلع بيعته ، والخروج عليه ، ومحاربته ، واخذت نفسها بطلب الثأر من قتلة عثمان ..!!

٣ — وان شجرة الدر تولت السلطنة بمصر وساست الرعية فى ايامها أحسن سياسة ، وكان يخطب باسمها على منابر مصر !!

(١) سورة آل عمران : آية ٧

٤ — وان الخيزران لعبت دورا كبيرا على مسرح السياسة !!

* ومن هؤلاء من زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ومع أنه حديث منكر ولا اساس له ، فقد استشهدوا به على ان للمراة أن تتصدى للفتوى والقضاء ، وزاد بعضهم على ذلك فزعم ان الامام أبا حنيفة أفتى بجواز ولاية المراة القضاء ، وانه فى عهد المقتدر العباسى : كان القاضى الذى اطمأن الناس الى عدالته فى الحكم ، واعترفوا بفضله ومقدرته القضائية ، كان امراة مسلمة ! فى حين ان أم الخليفة المقتدر — كما صورها بعضهم — كانت « بمثابة رئيسة لمحكمة الاستئناف العليا ، فكانت تقدم اليها الشكاوى وتحكم فى القضايا » . . !!

* وذهب آخرون شوطا اشد بعدا فى الجهالة والضلالة ، حين زعموا — كذبا وبهتانا — ان كثيرا من الأئمة يرى صحة امامة المراة للرجال فى الصلاة !!

* ومن هؤلاء : من أنكر الحجاب مستدلا على زعمه بأحوال خاصة استثناها الإسلام ، منها احرام المراة فى الحج ، ومنها جواز نظر الخاطب الى وجه مخطوبته ، وانتهى من ذلك الى أن الحجاب من خصوصيات نساء النبى صلى الله عليه وسلم وحدهن ، لأن الاسلام بنى على خمسة أركان ، وليس حجاب المراة من بينها ، بل ان كشف المراة لوجهها ويديها مما يحث الدين عليه ويامر به !!

* ومن هؤلاء من زعم ان الاسلام يقوم على اختلاط الجنسين ، وانه لم يحرم سوى الخلوة بالأجنبى ، « فليس ثمة ما يحول بين المراة وبين الاشتراك فى كل ميادين النشاط الاجتماعى والأدبى والسياسى ، وليس من حرج فى أن تقع عليها الأبصار للضرورة » . . !!

وزاد بعض الرعوس الجاهلة : أن الاسلام يبيح للفتاة ان تختلط بمن تشاء ، وتتعرف الى من تشاء وتهوى ، حتى توفق الى الزوج الذى تطمئن اليه ، وان للشاب — عند التقدم للخطبة — أن يرى من خطيبته ما ظهر منها وما بطن ، ليطمئن الى ما يرغبه فيها من حسن القوام ، وخلو الجسد من العيوب !!

* وبلغت الجهالة بآخرين أن زعم أن الاسلام كاد أن يحرم الطلاق ، واستشهد على زعمه بحديث لا أصل له ، ينسب فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مازال جبريل يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن » !! وان الحكمة فى اباحة الاسلام للمحلل (كذا) هو منع الطلاق !!

* أمـــا تعـــدد الزوجات فقـــد اشترط فيسه بعض هؤلاء (المجتهدين) العدل المطلق ، والمساواة التامة ، حتى فى ميـــل القلب ، وانتهى من ذلك الى أن الاسلام ينكر التعدد ، لاستحالة تحقيق المساواة المزعومة !!

* * *

هذا بعض ما حفلت به الصحف والمجلات .. وتضمنته الكثير من البحوث والمؤلفات ، وكان من أثره ان اشتبه الحق بالباطل ، وضاعت معالم الأسرة المسلمة ، فى خضم هذه الجهالات ، وتعذر على طلاب الحق والهداية ، التعرف عليهما بسهولة !!

اصلاح الأسرة : سبيل النهضة

على أن دوام الحال من المحال ، وهكذا : فان ما وصـــل اليه المسلمون من تخلف ، وما حل بهم من ذل وهوان ، كان من أقوى الدوافع التى ايقظتهم من سباتهم .. وأرغمتهم على التطلع الى طريق الهداية الذى حادوا عنه ، وسبيل المجد الذى اخطاوه ..

فتعالت أصوات الأفراد والجماعات ، بوجوب العودة الى الاسلام ، واعادة بناء الدولة على العلم والايمان . .

وقد كان من الطبيعى أن يبدأ دعاة الاصلاح كفاحهم ، من حيث انتهى اليه كفاح أعداء الاسلام ، فلا تصرفهم مشاكل السياسة والحرب ، عن العمل فى نفس الوقت على اعادة بناء الأسرة المسلمة ، على القيم الفاضلة ، والتقاليد الكريمة ، وتحصينها ضد عوامل الهدم والفساد ، فان ذلك هو أسرع سبيل الى بعث الاسلام من جديد ، واستعادة المسلمين لمكانتهم التى كتبها الله لهم ، كخير أمة اخرجت للناس .

* * *

[illegible]

* * *

الفصل الثاني

أهداف الإسلام من تكوين الأسرة

* الأسرة الأولى فى خير أمة ..
* كيفية تكوين الأسرة المسلمة
* نظرة الاسلام الى تكوين الأسرة
* الهدف الاجتماعى من تكوين الأسرة
* الهدف السياسى من تكوين الأسرة
* اضواء .. وحقائق ، حول تحديد النسل
* الهدف الاقتصادى من تكوين الأسرة
* الهدف الخلقى من تكوين الأسرة
* الهدف الصحى من تكوين الأسرة
* الهدف الروحى من تكوين الأسرة
* شراركم ... عزابكم ...
* الاعراض عن الزواج نقص فى الايمان
* لا رهبانيـــــة فى الاســــــلام
* خوف الفقر لا يمنع من تكوين الأسرة
* موقف السلف الصالح من تكوين الأسرة

الفصل الثاني

[illegible]

* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]

الأسـرة الأولى فى خيـر أمـة

ان التعاطف الذى تدرته العناية الالهية بين الرجل والمراة ، لمن اجل النعم التى اسبغها الله على عباده ، واعظم الآيات الدالة على قدرته واعجازه ، قال تعالى :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(١) .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال :

« المودة : حب الرجل امراته . والرحمة رحمته اياها ان يصيبها بسوء »(٢) .

فبهذا التعاطف : تقوم الأسرة السعيدة ، وتدوم الحياة الاسرية المستقرة ، التى فى ظلها تزدهر المعانى الكريمة ، وفى كنفها تنمو المشاعر السامية ، اذ يجد الرجل فى زوجته الرفيق الذى يسكن اليه ، والنفس التى يطمئن الى اخلاصها ، وتشاطره سراء الحياة وضراءها ، وتفيض عليه من المودة ما يهون عليه متاعب الحياة ، وتخفف عنه هموم الدنيا . كما تجد المراة فى زوجها السند الذى تركن اليه ، فيصون لها الكرامة ، ويوفر لها الحياة المطمئنة ، والسعادة المنشودة .

* * *

وان المتامل فى سيرة الدعوة الاسلامية ، ليستطيع ان يلمس بوضوح بعض ما يمكن للأسرة القوية ، المؤسسة على القيم الفاضلة ،

---

(١) سورة الروم : آية ٢١

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : ١٤/١٧

ان تحققه لدعوة الحق من معاونة ، وان تبعثه في نفس الداعية من طمأنينة في الشدائد ، وصبر على المكاره ، وثقة في النصر .

لقد اقتضت حكمة المولى عز وجل ، قبل أن يصطفى النبي صلى الله عليه وسلم ــ هاديا ومبشرا ونذيرا ــ أن يهيىء له الأسرة الكريمة التي يأوى اليهــا ، والزوجة الوفية التي في كنفها يجــد الراحة من كل تعب ، والعون في كل شدة ، والتي بلغ من معرفتهــا بقدر زوجها العظيم ، وثقتها من مكانته عند الله ، أنه ما كاد يهرع اليها ، ليقص عليها ما وقع له ، من ظهور جبريل له ، وخطابه اليه ، حتى قالت مهدئة لروعه ، ومثبتة لفؤاده :

« كلا .. ابشر ، فو الله لا يخزيك الله ابدا ، انك لتصــل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق »(١) .

وفي رواية أخرى انها رضي الله عنها قالت :

« ابشر يا ابن العم واثبت ، والذي نفس خديجــة بيده انى لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة(٢) » . ولم تزل به ــ صلى الله عليه وسلم ، حتى طعم وشرب وضحك .

هكذا كان موقف الزوجة الوفية خديجة ــ رضي الله عنها ــ من زوجها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حين عاد اليها من غار حراء ، يرجف فؤاده لما نزل به ، وهو يقول : « زملوني .. زملوني» فقد أكدت له مقسمة على قولها ، انه لا يمكن أن يصاب بمكروه ، لما اكرمه الله به من مكارم الاخلاق وخصال الخير ، لأن كل ذلك يقى صاحبه مصارع السوء . فدلت بذلك على كمال رأيها ، وثبــات قلبها ، وعظيم فقهها .

---

(١) صحيح مسلم ــ كتاب الايمان ــ باب بدء الوحي .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ١٢/٣ .

ولم تكتف رضى الله عنها بما تقدم ، بل انطلقت به — صلى الله عليه وسلم — الى ابن عمها — ورقة بن نوفل — وكان شيخا كبيرا ، له معرفة بالكتب والأديان ، فلما سمع ما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم » لم يلبث أن قال :

« هذا الناموس ، الذى أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم . . ياليتنى فيها جذعا ، ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، ولئن أدركنى يومك : أنصرك نصرا مؤزرا(١) » .

وفى رواية أخرى أن ورقة قال :

« أبشر . . ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك ، لأجاهدن معك »(٢).

* * *

ولقد كانت رضى الله عنها أول من أسلم اتفاقا ، كما كانت له — صلى الله عليه وسلم — وزير صدق فى جهاده ، فما سمع شيئا يكرهه من المشركين ، من ردهم عليه ، أو تكذيبهم له ، الا رواه لها ، فيفرج الله بها عنه ، فما تزال تثبته ، وتخفف عنه ما يلقى من قومه ، حتى تزيل عنه كل تعب ، وتؤنسه من كل وحشة ، وتهون عليه كل عسير .

ولقد حفظ لها النبى صلى الله عليه وسلم — بعد وفاتها — أعطر سيرة ، وأكرم ذكرى ، حتى أنه صلى الله عليه وسلم ، حين قالت له السيدة عائشة ، مظهرة غيرتها لكثرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لفضلها :

---

(١) صحيح مسلم — كتاب الايمان — باب بدء الوحى .

(٢) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى : لشيخ الاسلام عبد الله الشرقاوى : ٢٤/١

« كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة الا خديجة » !!

فرد عليها صلى الله عليه وسلم قائلا :

« آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله تعالى ولدها اذ حرمنى اولاد النساء(١) » .

وهكذا كان ذلكم البيت الكريم ، هو اللبنة الأولى فى بنـــاء المجتمع الجديد .. والأسرة الأولى فى خير امة اخرجت للناس :

كيفية تكوين الأسرة :

جعل الاسلام رابطة الزواج الشرعى ، القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة المســـلمة .

ولقد بلغ من تعظيم الاسلام لهذه الرابطة ، أن اعتبرها معادلة فى الاهمية لشطر الدين ، أو نصف الايمان ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« من تزوج فقد استكمل نصف الايمان ، فليتق الله فى النصف الآخـــر(٢) » .

وقال أيضا :

« من رزقه الله امرأة صالحة . فقد اعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى(٣) » .

* * *

ولقد اختلف الائمـــة فى نظرتهم الى الزواج ، هـــل هو من

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى : ٢٨٣/٤
(٢) الطبرانى فى الأوسط : من حديث أنس رضى الله عنه .
(٣) الحاكم فى مستدركه ، من حديث أنس رضى الله عنه .

العبادات ، أو من المباحات ؟ وذلك باختلاف أحوال الناس ، ومدى حاجتهم الى الزواج ، وقدرتهم على الوفاء بالتزاماته . فهو فى نظر الحنفية سنة مؤكدة ، فى حين أنه عند الشافعية من المباحات ، وفى رأى النووى — رضى الله عنه — أنه « ان قصد به طاعة كاتباع السنة ، أو تحصيل ولد صالح ، أو عفة فرجه أو عينه ، فهو من أعمال الآخرة ، يثاب عليه »(١) .

على أن المعنى الظاهر من قوله تعالى : « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم** »(٢) .. أنه أمر ، واقل درجات الأمر الندب ، والى هذا ذهب الجمهور ، لقوله تعالى : « **أو ما ملكت ايمانكم** » وفى ذلك تخيير بين النكاح والتسرى .

يقول الامام النووى رضى الله عنه : « لو كان النكاح واجبا ، لمـا خيره بينه وبين التسرى ، لانه لا يصح عند الأصوليين التخيير بين واجب وغيره ، لأنه يؤدى الى ابطال حقيقة الواجب ، وان تاركه لا يكون آثما »(٣) .

وذهب آخرون الى أن الأمر للوجوب ، فالنكاح واجب على من تيسرت حاله ، ومالت نفسه ، وخاف الزنا(٤) .

وفضل البعض التخلى للعبادة ، بالنسبة للقادر الذى لا تتوق نفسه الى الزواج .

❋ ❋ ❋

على أن القول الفصل فى هذا الخلاف ، هو أحوال سيد الخلق

---

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : للقسطلانى : ٤/٨
(٢) سورة النساء : آية ٣
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم : بهامش القسطلانى : ١١٢/٦
(٤) التاج الجامع للأصول : للشيخ منصور على ناصف : ٢٥٢/٢

صلى الله عليه وسلم الذى أمرنا باتباع سنته ، والتأسى به . وما كان الله تعالى ليرضى لأشرف أنبيائه الا أشرف الأحوال ، ومن ثم فقد ذكر له حال من قبله من المرسلين ، وما من به عليهم من نعمـــة الأزواج والأبناء ، ليقتفو اثرهم ، فقال جل وعلا :

« ولقد ارسلنا رســـلا من قبلك ، وجعلنـــا لهم ازواجـــا وذرية(١) .. » .

ولقد أكدت سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، قبل النبـــوة وبعدها ، شديد حرصه فى جميع أطوار حياته — من شبابه الى رجولته وكهولته — على اتباع سنة الانبياء والصالحين قبله ، فى التزوج بالصالحات الطاهرات ، وظل كذلك حتى لحق الرفيق الأعلى وبهذا اقتدى اصحابه من نجوم الهدى ، رضى الله عنهم أجمعين .

فلو كان ترك التزويج — ولو للتفرغ للعبادة — أفضل ، لأمر الله تعالى به النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكان أولى الناس به .

وتأكيدا لهذا المعنى : فان الله تعـــالى حين امتـــدح « عباد الرحمن » الذين شرفهم بالانتساب اليه ، ووصفهم بخير ما فيهم ، جعل ختام هذه الصفات الكريمة ، قوله عز وجل حـــكاية عنهم :
« والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنـــا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما »(٢) .

وقد جزاهم الله على ذلك خـــير الجزاء فقال جل وعـــلا :
« اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما(٣) » .

---

(١) سورة الرعد : آية ٣٨
(٢) سورة الفرقان : آية ٧٤
(٣) سورة الفرقان : آية ٧٥ و ٧٦

وكفى بمدح الله لهم ، وتكريمه اياهم « شرفا وفخرا ..

يقول الشعراني رضي الله عنه :

« اجمع الائمة على ان النكاح من العقود الشرعية المسنونة باصل الشرع واتفقوا على استحبابه لمن تاقت نفسه اليه ، وخاف الزنا ، ويكون في حقه افضل من الحج والجهاد والصلاة وصوم التطوع(١) » .

أهداف الإسلام من تكوين الأسرة

والاسلام فى حثه على الزواج ، لا يعتبره سبيلا مشروعا لتكوين الأسرة ، ولا وسيلة شريفة لانجاب الولد الصالح ، ولا سببا لغض الأبصار وتحصين الفروج ، أو اطفاء الشهوات ، واشباع الغرائز .. ليس ذلك أو غيره فحسب ، ولكن الاسلام يعتبر الزواج اعظم من كل ذلك وأجل ، انه يرتفع بهذه الرابطة الى مقام كريم ، ويعتبر تكوين الأسرة سبيلا لتحقيق أهداف أكبر ، تشمل كل مناحي المجتمع الاسلامي ، ولها اثرها العميق فى حياة المسلمين ، وكيان الأمة الاسلامية .

١ - الهدف الاجتماعي من تكوين الأسرة

يهدف الاسلام من تكوين الأسرة الى تحقيق تماسك المجتمع وترابطه ، وتوثيق عرى الأخوة بين افراده وجماعاته وشعوبه ، بالمصاهرة والنسب .

وفى سبيل هذه الغاية : اعتبر الاسلام المسلمين أمة واحدة ، دون اية تفرقة فى الجنس أو اللون أو اللغة ، فأجاز التزاوج بين

(١) الميزان الكبرى : للشيخ عبد الوهاب الشعراني : ١١٥/٢

العربي والعجمي ، وبين الاسود والابيض ، وبين الشرقي والغربي ، وبذلك : سبق الاسلام جميع النظم « الديمقراطية » الى تحقيق وحدة الجنس البشري ، باعتراف الكثيرين من فلاسفة الغرب ومفكريه ، حتى ان برناردشو ليقول :

« .. والاسلام دين حرية لا دين استعباد ، وقد قرر اخوة الاسلام منذ الف وثلاثمائة وخمسين عاما ، وهو المبدا الذى لم يعرف عند الروم السابقين ، ولا عند الاوروبيين ، والامريكيين المعاصرين ».

« اذا سالت العربي او الهندى او الفارسي او الافغاني : من انت ؟ يجيبك : انا مسلم ، اما الغربي فاذا سالته من انت ؟ قال : انا انجليزى او طليانى او فرنسى .. الغربي يترك الدين ويتمسك بالجنسية والوطنية ، فى حين ان المسلم يقول : انا مسلم ، بصرف النظر عن وطنيته او جنسيته ، وهو اكبر دليل على ان الاسلام يوحد بين اهل العقيدة المشتركة ، دون ان يجعل اى فرق بينهم بسبب اوطانهم او الوانهم او جنسياتهم ، ولقد نصب الاسلام شابا اسود البشرة(١) اميرا على جيوش المسلمين ، وفيها كبراؤهم . فالحكومة الديموقراطية الصحيحة لم تعرف الا فى الاسلام »(٢) .

فاين هذه السماحة الاسلامية الكريمة « من التفرقة العنصرية الصارخة ، التي تحرم على (الملونين) الزواج بالبيض من النساء ، او الالتحاق بمدارسهم ، او الجلوس فى الأماكن العامة المخصصة لهم ، او الدخول فى مطاعمهم ، والا تعرضوا لاشد صور الانتقام ، والموت الزؤام .

* * *

ومن اجل توثيق عرى الأخوة بين ابناء الدين الواحد ، حث الاسلام على الزواج من الغرائب ، لانه يتحقق بهن مالا يتحقق بزواج

---

(١) هو أسامة بن زيد رضي الله عنه .
(٢) مجلة الوعى عدد يونية ١٩٦٩ ص ٦

ذوى القربى بعضهم من بعض ، الذين لهم من صلة الرحم ، ما يكفى لتعاونهم وتضامنهم ، فى حين ان المرأة الغريبة ، يكون الزواج بها سببا فى ايجاد صلات جديدة ، لم تكن قائمة من قبل ، بين العائلات والقبائل ، وبين الشعوب والأجناس ، وبذلك : يزداد المجتمع الاسلامى قوة على قوة ، واخوة على اخوة .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خير قدوة فى تحقيق الهدف الاجتماعى من تكوين الأسرة ، فقد تزوج بالسيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، كما تزوج بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ وهكذا ارتبط بصاحبيه الكبيرين برباط المصاهرة ، معززا اخوته لهما فى الله .

ومن ناحية اخرى : فقد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته السيدة رقية ، لعثمان بن عفان ، فلما توفيت : عقد له على شقيقتها أم كلثوم ، كما زوج السيدة فاطمة الزهراء لعلى بن ابى طالب ، رضى الله عنهم أجمعين .

وهكذا : حذا الصحابة حذو نبيهم ، فارتبطوا فيما بينهم برباط المصاهرة فكان ذلك من اقوى اسباب تماسك بنيانهم ، وتساند صفوفهم ، وتآلف أرواحهم ، فغدوا كما اراد الله لهم ورسوله ، كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا .. أو كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

٣ـ الهدف السياسى من تكوين الأسرة

كما يعتبر الاسلام تكوين الأسرة وسيلة الى اهداف سياسية هامة ، لها اثرها فى عزة الأمة وسيادتها .

فقد بدأت الجماعة الاسلامية كقطرة فى بحر لجى ، بالنسبة

لقوى الشرك والضلالة ، التى كانت تقف منها موقف التربص والعداء ، وترجحها عدة وعددا ، وقوة ومالا ، وكان لابد للجماعة الجديدة ان تشق طريقها الوعر ، لتحتل المكانة المقدرة لها .. وكان لابد وأن تأخذ بأسباب القوة اللازمة لذلك ، روحية كانت أم مادية ، واهم عناصر القوة الروحية : الايمان بالله ، واهم عناصر القوة المادية : الرجال .

والمتتبع لتاريخ الاسلام يعجب كل العجب كيف استطاع ذلك الدين ، أن يصمد للمخاطر التى اعترضته ، فضلا عن اكتساحه لقوى الروم والفرس ، التى كانت لها السيادة على العالم فى ذلك الحين !!

لقد لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وعدد الذين آمنوا به ما بين ٦٠ الفا فى رواية للشافعى ، ومائة وعشرين الفا فى رواية لأبى زرعة الرازى(١) ، — رجالا ونساء — وقد فنى كثير منهم فى حروب الردة ، واستشهد آخرون فى حروب الفتح الاسلامى ، واجتثت المعارك التى اشتعلت بين المسلمين فى موقعتى الجمل وصفين — بتأثير الفتن التى دبرها ابن سبأ اليهودى — الجزء الأكبر من البقية الباقية من الصحابة ، حتى لم يبق فيهم بدرى واحد ، وحتى استشهد اغلب القراء فى تلك الصراعات الدامية .

ولكن العجب يزول اذا ما راجعنا سيرة تلكم القلة المؤمنة ، فوجدنا أن أكثر أفرادها قد ترك خلفه ذرية مباركة .. عشرات الأشبال ، كل منهم صنو لأبيه فى البطولة والايمان .. !!

لقد استجاب هؤلاء المؤمنون الصادقون للتوجيه النبوى الكريم :

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٥/٢٥٦ ، الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر : ١/٣

■ **تزوجوا .. فانى مكاثر بكم الامم ، ولا تكونوا كرهبانية النصارى(١)** » . وفى رواية أخرى ، انه صلى الله عليه وسلم قال :

« **تناكحوا تكثروا ، فانى اباهى بكم الأمم يوم القيامة(٢)** » .

وهكذا : كان التكاثر فى النسل ، من أهم العوامل التى حفظت للقلة المؤمنة كيانها ، وعاونتها على البقاء ، رغم ما قدمته من تضحيات فى سبيل الله ، فقد عوضها التكاثر اكثر مما فقدته ، فاستطاعت الابقاء على لواء الحق عاليا ، وان تقوض عروش الباطل ، وتهزم جيوشه ، رغم تفوقها فى العدد والعدة .

واذا كان عدد المسلمين فى الوقت الحاضر زهاء سبعمائة مليون ، فان الحاجة ما زالت ماسة الى اتباع التوجيه النبوى فى التكاثر ، حتى تستطيع الدول الاسلامية أن تقاوم القوى الجبارة المعادية لها ، والتى ما زالت تفوقها عدة وعددا ..

بعد معركة العاشر من رمضان :

ولقد أكدت معركة العاشر من رمضان اهمية القوى البشرية فى المعارك ، وبددت النظريات الحربية القائمة على التركيز على الأسلحة الاستراتيجية .

لقد بهر العالم عبور قوات المشاة المصرية للقنال ، واقتحامهم لخط بارليف ، وتحطيمهم — بأسلحة دفاعية — الكثير من دبابات العدو وطائراته .

قلبت هذه المعركة المفاهيم العسكرية ، حيث افتقدت الأسلحة

---

(١) الجامع الصغير للسيوطى : رواية عن البيهقى من حديث أبى امامة رضى الله عنه .

(٢) الجامع الصغير للسيوطى : رواية عن عبد الرازق من حديث سعيد بن أبى هلال رضى الله عنه .

المتطورة الكثير من خطورتها ، وعطلت فاعليتها ، واعادت للفرد المقاتل سيادته على ميادين القتال !!

هذ اهو وزير الجيش الأمريكى يقول معترفا بهذه الحقائق :

« ان عبور القوات المصرية قناة السويس ، فى مواجهة التفوق الاسرائيلى فى القوة الجوية ، علامة بارزة فى الحرب الحديثة ، سوف تغير الاستراتيجية العسكرية ، .. فلأول مرة فى التاريخ : تتمكن قوة عسكرية ، من انجاز عملية عبور ضخمة لقناة السويس ، التى تماثل النهر ، فى مواجهة عدو مزود بسلاح طيران حديث دون ان تفقد القوات العابرة اى طائرة من طائراتها . ان حرب الشرق الأوسط ، قد اظهرت ضرورة وجود جيش مستعد للقتال ، ومدرب تدريبا جيـــدا(١) » .

اما العسكريون البريطانيون : فقـــد اعتبروا حـــرب الشرق الأوســـط ، بمثابة مقدمة لبوار ســـلاحى الطائرات والدبابات ، والتاكيد على ظاهرة الانســـان ، فى مواجهة الآلة ، وعلى ظاهرة الاسلحة التى يديرها الانسان بطريقة بدائية الى حد ما ، ضـــد اسلحة حديثة اوتوماتيكية(٢) .

واكد خبراء الحرب الأمريكيون ، راى العسكريين الانجليز ، فقد انتهوا فى تحليلاتهم لحرب الشرق الأوسط ، الى ان دور المشاة فى القتال ، قد عادت له اهميته ، بعد سيطرة الدبابات والطائرات ، وان الاسلحة المتحركة التى يستخدمها المشاة ، استطاعت ان تشل فاعلية قاذفات القنابل والدبابات ، اللاتى كانت لهما السيطرة على ارض المعركة طوال ثلاثة اجيال(٣) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٣/١٠/١٩
(٢) الاهرام فى ١٩٧٣/١٠/٢١
(٣) الاهرام فى ١٩٧٣/١١/٦

ولا شك أن تفوق القوات العربية فى العدد ، مع صــدق الايمان ، وجودة التدريب والاستعداد ، هو الذى مكنها من هزيمة العدو الاسرائيلى رغم وفرة اسلحته وامكانياته ، ورغم المعاونات والامدادات الأمريكية الواسعة المدى ، التى انهالت عليه ، كما مكنها ذلك التفوق العددى من تحمل الخسائر فى الأفراد دون اى مشقة ، لضآلتها بالنسبة لتعدادهم .

ويعكس ذلك : فان خسائر العدو فى أفراده ، قــد تركت اســوأ الأثر فى نفسيته ، وزلزلت من كيانه ، لفداحتها بالنســبة لضآلة تعداده .

ومن ناحية أخرى : فان عودة سيناء الى احضان الوطن ، والاتجاه الى تعميرها ، بحيث تكون خط الدفاع الأول قبل القناة ، يتطلب من الدولة اعادة النظر فى نظرية تنظيم الأسرة ، التى اتجهت الى الأخذ بها فى الماضى ، للظروف القاسية التى كانت تحيط بها ، بما يعــاون على توفير الملايين من الأفراد اللازمين لتعــمير سيناء ، واستثمار مواردها .

هذا فضلا عن أن الوحدة العربية التى برزت قوية شامخة خلال معركة العاشر من رمضان ، كان من أهم ثمارها ، العمل على تحقيق التكامل الاقتصــادى بين الشعوب العربية والاسلامية ، وتبادل الامكانيات الفنيــة البشرية والمــادية ، بما يوفر الخبرات والأموال اللازمة لتنفيذ الكثير من المشروعات الكبرى ، التى تتطلب مزيدا من الأيدى العاملة ، لمضاعفة الانتاج ، وتحقيق الرفاهيــة المنشــودة .

اضواء وحقائق حول تنظيم النسل :

ومن ثم : فان الدعوة الى تحديد النسل ، التى ظهرت أخيرا فى مصر خاصة ، وبعض الدول العربية عامة ، أن كان لها ما قد

يبررها فى الماضى ، لظروف سياسية أو اقتصادية طارئة ، فانها فى الوقت الحاضر لا يوجد ما يبررها ، بعد أن استردت الأمة سيادتها وايمانها وبعد سياسة الانفتاح التى اتجهت الى الأخذ بها ، والتى كان من آثارها تدفق رءوس الأموال العربية والأجنبية ، وما سيترتب على ذلك من ازدهار اقتصادى ان شاء الله .

ومن أعجب العجب : ان الدول التى تدعو البلاد النامية الى تحديد النسل ، هى الدول الاستعمارية الكبرى ، مع ان هذه الدول لا تاخذ بهذه الدعوة ، ومع أن كثافة السكان فيها اضعاف اضعافها فى الدول الاسلامية .. !!

يقول « الفريد بونيه » الكاتب الاستعمارى ، داعيا الى تحديد النسل فى مصر :

« ان مصر اكثر بلاد الشرق الأوسط ازدحاما بالسكان ، بل اكثر بلاد العالم اجمع ، وهى لذلك تواجه مشاكل قل ان توجد فى غيرها من البلاد ، بمثل هذه الخطورة والتعقيد(١) » .

وهذا الذى يزعمه « الفريد بونيه » يكفى للرد عليه أن نعلم : ان كثافة السكان فى مصر حاليا لا تزيد على ١١ شخصا فى الكيلو متر المربع ، وان جملة سكانها لا يتعدى ٣٧ مليونا .. **« وان المساحة المنزرعة من ارضها لا تزيد على نصف المساحة الصالحة للزراعة ، وان البحوث العلمية انتهت الى ان قسما غير يسير من الصحارى ، التى تكون ٩٧٪ من مساحة مصر : صالح للزراعة ، وان اكثر هذه الصحارى كان مزروعا فى عهد الرومان(٢) »**

---

(١) التطور الاقتصادى للشرق الاوسط : لالفريد بونيه .
(٢) تنظيم النسل للدكتور على عبد الواحد وافى « من محاضرة القاها بدعوة من وزارة الاوقاف عام ١٩٥٨ م » .

ومعنى ذلك : أن مصر فى استطاعتها بعد استصلاح أراضيها ، واستثمار مواردها ، ان تستوعب اضعاف عدد سكانها الحالى ، وان تصبح فى مصاف الدول الكبرى .

ولقد أكد هذه المعانى الرئيس جمال عبد الناصر ، فى حديث له مع مندوب وكالة الـ « اسوشييتد برس » حيث قال :

« اننا نعيش ونستعمل ما مساحته ٤ ٪ من ارضنا ، والباقى كله مهجور ، ولو اننا بدلا من التفكير فى تقليل عدد السكان ، وسعنا مساحة الرقعة التى نعيش فيها : لوجدنا الحل لمشاكلنا(١) » .

* * *

وفى مقابل ما تقدم : تثبت الاحصاءات الرسمية ان عدد سكان الدول الاستعمارية الكبرى ، ونسبة الكثافة فيها ، اضعاف اضعاف ما فى مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ، وأن موارد تلك الدول قد استغلت الى اقصى طاقة ممكنة ، واستنفذت فى سبيل ذلك كل الوسائل العلمية والفنية ، ومع ذلك : فان هذه الدول لم تفكر بعد فى وضع حد لتزايد السكان فيها .. بل على العكس من ذلك : فانها تشجع الاكثار من النسل ، ولا تنكر العلاقات غير الشرعية ، التى تثمر الالوف من ابناء الزنا ، ما دام ذلك يزيد فى تعدادها .

ان عدد سكان الولايات المتحدة ٢٠٠ مليون ، والكثافة فى الكيلو متر المربع ٢٥ شخصا .

وعدد سكان انجلترا ٥٥ مليونا ، والكثافة فيها ٢٢٥ شخصا!
وعدد سكان فرنسا ٥٠ مليونا ، والكثافة فيها ٩٠ شخصا!
وعدد سكان روسيا الأوروبية ١٨٠ مليونا والكثافة فيها ٣٥ شخصا !!

---

(١) صوت الاسلام عدد ٨٤ : ربيع الآخر ١٣٧٨ — اكتوبر ١٩٥٩

ومع ذلك : فان تزايد سكان هذه الدول الاربع الكبرى امر طبيعى ، لا يهدد مصير العالم ، أما الذى يهدد ذلك المصير ، فهى الدول الصغيرة او « النامية » كما يسمونها ، مع ان مواردها ومساحاتها تسمح باستيعاب اضعاف سكانها .. ؟ !

تحديد النسل .. يخدم التوسع الصهيونى :

وقد جاء بالنشرة الامريكية للشئون الخارجية عام ١٩٥٧ ، ص ٢٩١ وما بعدها ، ان الدعوة الى تحديد النسل فى مصر وسوريا تخدم التوسع الصهيونى لاسرائيل(١) .

ومعنى ذلك : ان تزايد السكان فى مصر وسوريا يهدد التوسع الصهيونى المرسوم .. كما أن تزايدهم فى البلاد الاسلامية ـ التى ما زال البعض منها تحت سيطرة الاستعمار ، لا يتفق مع مصلحة المستعمرين .

يقول الدكتور محمود سلام زناتى :

■ من الصعب علينا الاعتقاد بأن السلطات الاستعمارية ، فى سعيها الى القضاء على تعدد الزوجات ، تصدر عن رغبة صادقة فى تحقيق الخير والسعادة للمجتمع الافريقى ، وفى اعتقادنا انه من الممكن تفسير ذلك بالرغبة فى الحد من نسل الافريقيين ، لعدم كفاية الأرض المخصصة لهم ، والتى لا تتناسب مع نسبتهم العددية، فى حين يحتفظ المستعمرون بالباقى تحت سيطرتهم ، وقد ادى تزايد النسل الى ان ضاقت المناطق المخصصة للافريقيين بمن فيها ، ورأت السلطات الاستعمارية ـ تفاديا للمتاعب المترتبة على ذلك ـ الحد من تعدد الزوجات »(٢) .

* * *

---

(١) الجمهورية فى ١٩٥٧/١/٢٢

(٢) تعدد الزوجات لدى الشعوب الافريقية : للدكتور زناتى ـ ص ٨٨ و ٨٩

وفى حرص الاستعمار والصهيونية على تحديد نسل البلاد الواقعة تحت سيطرتهم ، يصل الأمر الى التهديد باتخاذ وسائل اجبارية !

ففى حديث للعالم الأمريكى « بير ترام » يقول : « **ان الخطر يهدد العالم اذا لم يوقف تزايد النسل فى المستعمرات ، واذا ثبت عدم كفاءة الوسائل الاختيارية ، لخفض السكان فى المستعمرات ، فانه يصبح من اللازم اتباع وسائل اجبارية** »(١) !!

ولم يذكر « بير ترام » ما هى الوسائل الاجبارية المقترحة لخفض السكان ؟ ، ولعل منها عمليات الافناء بالجملة التى يقوم بها المستعمرون فى جنوب افريقيا ضد السكان الأصليين ، وفى الفلبين ضد المسلمين .

اضافة مركبات منع الحمل فى الغذاء المرسل الى الدول النامية :

ولقد بلغ من اهتمام الدول الاستعمارية الكبرى ، بخفض سكان الدول النامية ، أن هذا الموضوع كان محل بحث الأوساط الجامعية والعلمية فى أمريكا ، للوصول الى أنجع الوسائل لتحقيق هذه الغاية الحيوية بالنسبة لهم .

فقد عقدت هيئة اليونسكو مؤتمرها الثالث عشر فى سان فرنسيسكو بحضور مائة من العلماء ، لبحث مشكلة التضخم السكانى ، والحد منه فى الدول النامية .

وكان من أعجب المقترحات التى عرضت للبحث ، ذلك الاقتراح الذى تقدم به الدكتور « بول ارليش » الأستاذ بجامعة (ستانفورد) الأمريكية ، « ويقضى بوضع مركبات منع الحمل فى الغذاء المرسل للدول النامية » !!

---

(١) صوت الاسلام : العدد ٥٧ فى ١٩ شعبان ١٣٧٧ هـ — مارس ١٩٥٨ م .

■ وفى نفس الوقت ، اعلن الدكتور (لى دوبريدج) المستشار العلمى للرئيس الأمريكى نيكسون ، فى المؤتمر المذكور ، ان الاحتفاظ بالعدد الحالى لسكان العالم دون زيادة ، مسألة هامة وحيوية ، .. وان الولايات المتحدة تفكر فى قطع معوناتها الاقتصادية عن الدول التى لا توقف تزايد سكانها ، .. وقال : ان استخدام مركبات منع الحمل فى مياه الشرب والطعام ، قد يكون حلا لهذه المشكلة فى الدول النامية »(١) .

وهناك رأى اعلنه « وليم شوكلى » الأستاذ بجامعة استانفورد بشيكاجو ، طالب فيه صراحة بتعقيم الزنوج ، مقابل منحهم مكافآت مالية من جانب الحكومة(٢) .. !!

والتعقيم معناه الواقعى : الحكم بالاعدام على الجنس الزنجى فى امريكا !

ايزنهاور يرفض تحديد النسل :

ومن الأمور ذات المغزى : انه فى الوقت الذى كرر فيه مكتب الاحصاءات الخاصة بالسكان بهيئة الأمم المتحدة ، مطالبته بوجوب وضع نظام لتحديد النسل فى بعض الدول — النامية طبعا — حتى لا يؤدى ازدياد عدد السكان الى حدوث فوضى عالمية ..

وفى الوقت الذى تعلن فيه السلطات الرسمية فى امريكا ، ان الأسرة الأمريكية تواجه ازمة من اشد الأزمات ، وهى ارتفاع نسبة المواليد بشكل يهدد الحالة الاقتصادية فى البلاد ، وان عدد الأطفال المولودين فى النصف الأول من عام ١٩٥٩ قد زاد الى ٠٠٠ر٤٣٤ر٢ طفلا ، وهى نسبة لم تحدث من قبل(٣) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٦٩/١٢/١
(٢) الاهرام فى ١٩٧٢/٣/٢٤
(٣) الاهرام فى ١٩٧٢/٤/١٧

فى نفس الوقت تقريبا : اعلن الرئيس الاســبق للولايات المتحدة ـــ جنرال ايزنهاور فى مؤتمره الثانى المنعقد فى ديســمبر سنة ١٩٥٩ : **« ان حكومته لن تفكر فى تحديد النسل فى أمريكا ، ما دام فى البيت الابيض » .. اى مادام هو رئيسا للدولة .**

نيكسون .. يحارب الاجهاض

وجاء (نيكسون) فى عام ١٩٧٢ ، فأكد موقف (ايزنهاور) من تحديد النسل فى أمريكا ، وزاد عليه ، فاعلن : « ان الاجهاض لا يتفق مع الدين . ولا مع تقاليد الحضارة الغربية » .. وطالب « باعادة النظر فى قوانين اباحة الاجهاض التى اخذت بها بعض الولايات(١) » .

ومعنى ذلك : هو حرص الولايات المتحدة على استمرار نموها ، وزيادة عدد سكانها ، بصرف النظر عن مصدر هذه الزيادة ، وعن الوسيلة اليها ، وسواء كانت من نكاح ، أم كانت من سفاح ، فالمهم أولا وأخيرا فى منع الاجهاض ، هو حماية مئات الالوف من ابنــاء الزنا ، من القضاء عليهم بالاجهاض ، حرصا على استفادة الأمة بهم فى زيادة عددها ، وتقوية شوكتها .. !

جائزة فخر الأمومة فى روســيا :

أما فى روسيا السوفيتية ، التى وصل تعدادها حاليا الى زهاء ٢٥٠ مليونا ، فانها ـــ رغم ذلك ـــ ترى أنها فى حاجة الى مزيد من النسل ، لأن ذلك يعنى مزيدا من القوى البشرية ، ومزيدا من الايدى العاملة ، ومزيدا من الانتــاج ، حتى تستطيع ان تحفظ التوازن بينها وبين دول كبرى تجاورها ، كالصين ذات الثمانمائة مليون نسمة ، والهند التى بلغ تعدادها سبعمائة مليون .

---

(١) الجمهورية فى ١٩٧٢/٥/٨

ومن اجل ذلك : « اصدر مجلس السوفييت الأعلى فى موسكو قرارا باهداء ميدالية فخر الأمومة ، الى الأمهات المنجبات كثيرا من الأطفال » .. !

« وقد حصلت على اللقب ام واحدة انجبت ٨ ابناء ، فى مدينة موسكو ، هى (روزابيفا تاتيانا) ، وهى من الأمهات العاملات » .

« وحصلت على الجائزة الثانية : ثلاث امهات ، من اللاتى انجبن ٧ اطفال ، وحصلت على الجائزة الثالثة : سبع امهات ، انجبت كل منهن ستة ابناء » (١) .

جائزة الاب المثالى فى اسبانيا :

اما فى اسبانيا فان الجنرال فرانكو كان اشد ما يكون حرصا على زيادة تعداد الشعب الاسبانى ، وتشجيع بنى وطنه على الانجاب والتكاثر ، حتى انه ــ كما جاء فى الصحف ــ **اهدى جائزة « الاب المثالى » الى فلاح اسبانى ، يدعى « خوزى ماريانو ليدو » البالغ من العمر ١٠٧ من السنوات ، وذلك لأنه انجب واحدا وعشرين طفلا وطفلة(٢) !**

موقف البابا بولس .. من تحديد النسل :

أما فى ايطاليا ــ مركز الكاثوليكية : **« فان البابا بولس السادس ــ وهو الزعيم الدينى لاكثر من ٥٠٠ مليون كاثوليكى ــ قد قرن اسمه بالحملة المضادة لتحديد النسل ، واخذ يعلن طوال الشهور العديدة الماضية ، بطريقة لا تحتمل اى لبس :**

« ان استخدام وسائل تحديد النسل اثم وان مستخدميها آثمون »(٣) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٢/٢/١١
(٢) الاهرام فى ١٩٧٢/٢/١٦
(٣) الاهرام فى ١٩٧١/٢/٢٦

١٠ جنيهات للطفل الثالث فى اليونان

ومع أن اليونان محدودة المساحة والموارد ، فان حكومتها لا تجد فى ذلك أى مبرر للأخذ بفكرة تنظيم النسل ، بل تحرص كل الحرص على زيادة تعداد السكان فيها ، لتحقق التوازن بينها وبين الدول المجاورة ، ولتعوض ما تفقده من السكان بسبب الهجرة المستمرة للألوف من ابنائها الى الولايات المتحدة وغيرها من البلاد مثل استراليا وجنوب امريكا .. مما ادى الى توقف تعدادها عند ثمانية ملايين وستمائة الف نسمة .

ومن اجل ذلك :

« قررت الحكومة اليونانية اخيرا : صرف مكافاة شهرية ثابتة ، لكل ابوين ، عن الطفل الثالث ، او عن اى طفل ينجبانه بعد الطفل الثالث ، تبلغ حوالى عشرة جنيهات »(١) .

مقاومة رجال الدين لتنظيم النسل فى بولندا

وفى بولندا : التابعة للقطاع الشرقى ، نجد ان رجال الدين فيها قد وقفوا موقفا حاسما من الحكومة البولندية ، لاصدارها قانونا باباحة الاجهاض .

■ وقد ندد الأساقفة البولنديون بشــدة بالقانون المذكور ، واكدوا أن الاجهاض ــ فضلا عن انه سيحدد عدد السكان ــ فانه سيؤدى حتما الى اضعاف الامة البولندية » .

وقد جاء ذلك فى رسالة دينية ، تليت فى جميع الكنائس . فى صلاة الأحد الموافق ٢١ من مارس سنة ١٩٧١ .

---

(١) اخبار اليوم فى ١٩٧٢/٦/٢٤

« والقت الرسالة بالمسئولية الكاملة للانخفاض فى معدل المواليد فى بولندا على السلطات الشعبية ، وقالت : ان الحكومة هى التى تدعو علنا لاستخدام حبوب منع الحمل ، الى حد انها تضعها تحت تصرف الشباب »(١) .

* * *

واذا علمنا ان بولندا – حاليا – واقعة تحت سيطرة الحكم الروسى ، لم ندهش للمفارقة الواضحة بين الدعوة الى تشجيع النسل التى خصصت لها جوائز نخر الأمومة فى روسيا ، وبين الدعوة الى تحديده او تنظيمه فى بولندا ، التى لا يزيد تعداد السكان فيها من عشر تعدادهم فى روسيا السوفييتية .

وهكذا اتحدت اهداف المعسكرين الكبيرين – الشرقى والغربى – فى موقفهما من الدول النامية ، وتشابهت قلوبهم فى سعيهم الى اضعاف هذه الدول ، بالدعوة الى تحديد النسل او تنظيمه – كما يزعمون – وتيسير الوسائل اللازمة لذلك .

بلايين الدولارات لتحديد نسل الدول النامية !

وفى سبيل ذلك : بذلت امريكا وغيرها من الدول الأوربية الكبرى – وما زالت تبذل – الأموال الطائلة ، لنشر الدعوة الى تنظيم النسل فى الدول النامية ، لا سيما الدول الاسلامية والشرقية ، ومن اجل ذلك : انشأت عام ١٩٥٢ ما يسمى « بالمجلس الدولى لمكافحة التضخم السكانى » ويشرف عليه خبراء أمريكيون ، يعاونهم خبراء بعض الدول الأخرى .

وبالرغم من مضى أكثر من عشرين عاما على انشاء المجلس المذكور ، فان دعوته لم تلق الاقبال المنشود بالبلاد النامية ، الأمر

---

(١) الاهرام فى ١٩٧١/٣/٢٣

الذى حمل المجلس على مضاعفة نشاطه بكل الوسائل الممكنة ، وفى مقدمتها :

١ ـــ تخصيص مئات الملايين سنويا لتوزيع أجهزة وعقاقير منع الحمل مجانا .

٢ ـــ انشـــاء شـــبكة من المراكز الخاصة برعـــاية الأمومة والطفـــولة .

٣ ـــ نشر الدعوة عن مزايا تحديد النسل بالنسبة لصحة المرأة وجمالها .

وفى سبيل ما تقدم :

« وضع المجلس الدولى لمكافحة التضخم السكانى ، برنامجا لتحديد النســـل فى تسع دول نامية ، تقدر تكاليفه بمليار دولار فى السنة » .

« ويهدف البرنامج الى ان يحقق ـــ على مدى ٣٠ عاما ـــ انقاذ حياة ٢٥ مليونا من الأطفال (كذا) بتخفيض حالات الوفيات بينهم ، ومنع ولادة ٨٠ الى ١٤٠ مليونا من الأطفال فى الدول التسع ، وهى : الفلبين ، وتايلاند ، واندونيسيا ، والهنـــد ، وايران ، وتركيا ، وكينيا ، وغانا ، وكولومبيا » .

« وينفذ هذا البرنامج عن طريق انشاء شبكة لمراكز رعاية الام والطفل فى هذه الدول ، يعمل فيها اطباء وقابلات ، يتولون تقديم المعلومات الخاصة بتحديد النســـل ، عن طريق ربط هذه المعلومات بالرعاية التى تقدم للأمهات قبل الوضع وبعده .. »(١) .

ويتضح لاول وهلة ، مدى المغالطـــات فى الهـــدف الحقيقى المنشود من برنامج المجلس المذكور ، كما نبينه فيما يلى :

(١) الاهرام فى ١٩٧١/٤/٢١

اولا : أن الزعم بانقاذ حياة ٢٥ مليون من الأطفال ، انما يقصد به تغطيــة أو تزييف الهــدف الحقيقى ، وهــو منــع ولادة ١٤٠ مليونا ..!!

ثانيا : أن ربط الدعوة الى تحديد النسل ، برعاية الأمهــات والمحافظة على صحة الأم ورشاقتها ، يتناقض مع الحقيقة المتفق عليها طبيا ، وهو ان طبيعة المرأة تتطلب منها الحمل والولادة بين حين وآخر ، كي تتمتع بصحة تامة ، وان النساء اللاتى لم تتح لهن مثل هذه الفرصة ، اقل نضارة وصحة من زميلاتهن أولات الأحمال والوضع والرضاعة .

لقد كان لزوجة روبرت كيندى(١) ستة عشر من الأولاد ، مع أنها كانت فى مقتبل عمرها ، وكانت مع ذلك محتفظة برشاقتها وجمالها ، وتسعى الى انجاب مزيد من الأولاد ، لتضرب الرقم القياسى بين سيدات هذه الأسرة الاوروستقراطية !!

ثالثا : ان ذلك المليار من الدولارات الذى سينفق سنويا لمدة ثلاثين سنة ، لو وجه الى رفع مستوى الانتاج فى الدول الناميــة التسع ، لكان له أثر كبير فى تقدمها ورفع مستواها . ولكن الدول الاستعمارية لا يهمها رفع مستوى الشعوب النامية ، بقدر اهتمامها ببقائها متخلفة ، وايقاف نموها البشرى الذى يهــدد الاستعمار ويقضى على أطماعه فى مزيد من السيطرة والاستغلال .

وملايين اخرى لمنع الانفجار السكانى ...!!

وهناك هيئات دولية أخرى ، يقض مضجعهــا ما يســمونه بالانفجار السكانى فى الدول النامية ، مثل : « صندوق التنظيم السكانى » الذى انشىء عام ١٩٦٧ ، ومثل هيئــة الأمم المتحدة ،

---

(١) السيناتور الامريكى الذى اغتالته الصهيونية اثناء ترشيحه للرئاسة .

وغيرها من المنظمات والهيئات .. التى تنفق الملايين العديدة فى سبيل الحد من زيادة تعداد سكان الدول النامية .

فقد « أعلنت الأمم المتحدة فى مارس سنة ١٩٧٢ ، انها اعدت مشروعا لمساعدة الدول النامية فى السيطرة على الانفجار السكانى ، يتكلف ٢٥٠ مليون دولار ، تنفق على مدى اربع سنوات » .

« وقد جاء فى تقرير رسمى صدر فى ١٩٧٢/٣/٢٥ ، ان هذا المشروع سيتم تنفيذه تحت اشراف صندوق التنظيم السكانى .. وذلك بعد ان وافق مستشارو الصندوق فى اجتماعات استمرت ثلاثة ايام ، على الطلبات العاجلة التى تقدم بها عدد من الدول النامية الى الصندوق ، بشأن مساعدتهم فى مواجهة هذه المشكلة ، ويتالف مجلس مستشارى الصندوق من عـــدد من ابرز خبراء العـــالم فى تنظيم الأسرة(١) » .

وبوجه عام : فان القوم ينفقون بسخاء فى سبيل هذه الغاية النبيـــلة !!

الدول الاستعمارية : مصدر المجاعة للعالم :

ومن ناحية أخرى : فان خطر المجاعة الذى يهدد العالم ، ليس مصدره الدول النامية ــ كما تزعم الهيئات الدولية المختلفة ــ وانما مصدره فى الحقيقة الدول الاستعمارية الكبرى وفى مقدمتها أمريكا وانجلترا ..

وليس ادل على ذلك من الاحصاءات التى نشرتها الأمم المتحدة فى ابريل من سنة ١٩٧١ ، عن الدخل العالمى ، ووجوه انفاقه ، وقد تضمنت الحقائق التالية :

اولا : أن مائة دولة فقيرة تضم ثلثى سكان العالم ، لا يزيد نصيبها السنوى من الدخل العالمى عن ١٣ ٪ .

(١) الاهرام فى ١٩٧٢/٣/٢٦

ثانيا : أن الدول الغنية التى تضم ثلث سكان العـــالم يبلغ نصيبها من الدخل العالمى ٨٧٪ .

ثالثا : ان عدد الذين يعانون من نقص التغذية فى العالم : يبلغون الآن زهاء ١٥٠٠ مليونا ، وينتظر أن يرتفع هذا العدد الى ٢٥٠٠ مليون فى سنة ١٩٨٥ .

رابعا : ان خسائر الدول النامية فى التجارة الدولية ، تصل الى ٢٥٠٠ مليون من الجنيهات سنويا ، بسبب تحكم الدول الكبرى فى تحديد أسعار منتجات الزراعة فى تلك الدول ، بينما ترتفع أسعار المصنوعات المستوردة من الدول المذكورة .

خامسا : ان الخبراء يقررون أن الولايات المتحدة تحصل على جنيه ونصف جنيه استرلينى ، مقابل كل دولار من المعونة التى تقدمها للدول النامية ، باشتراطها على هذه الدول شراء المنتجات الأمريكية بأسعار مرتفعة ، وتصدير منتجاتها بأسعار مخفضة(١) .

ونستخلص مما تقدم :

ان كل فرد فى الدول الغنية يحصل فى المتوسط على دخل قدره ٨٧٪ ، فى حين ان الفرد المماثل له فى الدول النامية التى تضم ثلثى العالم يحصل على نصف الباقى وقدره ١٣٪ ، اى على ٦,٥٪ فقط .

اى أن نسبة دخل الفرد فى الدول النامية ، الى نسبة دخله فى الدول الغنية هى : ٦,٥ : ٨٧ ، اى ٧,٥ : ١٠٠ تقريبا .!!

فهل هناك شك بعد ذلك فى الجهة التى تهدد العالم بالمجاعة ؟!

وهل هناك شك فى الأهداف الخفية للدعوة الى تحديد النسل فى الدول النامية ؟

(١) القمح والسياسة : تحقيق للاستاذ محمد فهمى بأخبار اليوم فى ١٩٧١/٤/٢٤

متوسط الأعمار فى الدول النامية والغنية :

وكنتيجة لما تقدم ، من فقدان التوازن بين دخل الدول النامية ، والدول الاستعمارية والغنية ، فان سوء الأحوال الصحية المترتبة على الفقر ، جعلت متوسط عمر الفرد فى الدول النامية ، لا يزيد عن ثلث عمره فى الدول الغنية ..

فقد جاء فى الكتاب الاحصائى السنوى للأمم المتحدة ، عن سنة ١٩٧٢ :

« ان معدل الزيادة السكانية فى الدول النامية ، يزيد كثيرا عن متوسط معدل الزيادة السكانية فى العالم ككل — وهو ٢ ٪ — ويبلغ ذروته فى دول امريكا الوسطى ، حيث يصل الى ٣ر٤ ٪ . وفى الوقت نفسه فان معدل وفيات المواليد يبلغ اقصاه فى بعض دول آسيا وافريقيا ، حيث يصل الى ٢٠٠ فى كل الف حالة ، وينخفض هذا المعدل الى ادنى نسبة فى السويد وهى ١١ر٧ فى الألف » .

وجاء بعد ذلك :

« ان متوسط عمر الانسان فى السويد ٧٢ سنة للرجل و ٧٦ سنة للمراة ، وهو اعلى متوسط فى العالم ، بينما يبلغ فى جابون بافريقيا ادنى متوسط ، وهو ٢٥ سنة »(١) .

ومعنى ذلك :

ان نسبة الوفيات فى المواليد ، بين الآسيويين والأفريقيين الذين يكونون اكبر عدد من الدول النامية .. وبين احدى الدول الغربية وهى السويد ، هى :

٢٠٠ الى ١١ر٧ ، أى ١٧ الى واحد تقريبا !!

---

(١) الاهرام فى ١٠/٧/١٩٧٢

وان نسبة متوسط عمر الأفريقى الى السويدى هى ٢٥ : ٧٤ اى ١ : ٣ تقريبا ..!!

وبالرغم من كل هذه الحقائق الثابتة : فان ابواق الصهيونية والاستعمار « ما زالت تدوى منذرة بالويل والثبور ، من جـراء الانفجار السكانى الذى يتهدد العالم ، كنتيجة لتزايد سكان الدول النامية ، الذين يعيشون فى المتوسط ثلث الحياة التى يعيشـها الآخرون ، ويتكلف الواحد منهم فى حياته ١ : ١٣ ممـا يتكلفه الاخـرون !!

قلق الاستعمار من تزايد سكان المستعمرات :

ان الحقيقة التى لا مرية فيها : هى ان تزايد السكان فى الدول النامية « التى تشترى الدول الغنية منتجاتها بأبخس الأثمان، وتبيع لها مصنوعاتها بأغلى الأسعار .. هـذا التزايد هو الذى يقلق بال الدول الأوربية والأمريكية ، لأنه يهدد استغلالها المستمر للشعوب الفقيرة والنامية ، وينذر بتخفيض النسبة العالية التى تحصل عليها من الدخل العالمى .

اما تزايد السكان فى الأمم العربية والاسلامية ، فهو أشـد خطرا على الدول المستعمرة لأنه يزيد من قدرة العرب والمسلمين على التحرر من نير الاستعمار ، ويحول دون التوسع الذى تحلم به اسرائيل ، **لأن الاسلام ــ كما يقول روجيه جارودى العالم الفرنسى ــ « كان عاملا اساسيا فى كل حركات التحرير التى قامت بها الشعوب المستعبدة فى عصرنا ، وان النضالات الوطنية قد انطلقت جميعها تحت راية الجهاد فى سبيل الوطن ، وكان الاسلام فى اغلب هـذه النضـالات رمزا للمقاومة الروحيـة والثقـافية ضـد الاحتـلال والاستعمار(١) .**

---

(١) عالمية الاسلام : لأنور الجندى ــ بعدد مجلة الوعى الباكستانية فى يونية ١٩٦٩ .

لذلك : لم يكن عجبا ان نرى الهيئات الدولية ، التى تخضع أكثرها للدول الاستعمارية الكبرى ، تعمل بكل جد على نشر الدعوة الى تحديد النسل ، وتنذر بالأخطار التى تهدد العالم من جراء تزايد السكان ، وكأنهم ليسوا مصدر الخطر الحقيقى على البشرية ، والسبب الأصلى فى شقائها .. وكأنهم ليسوا هم الذين يستنفدون ٨٧٪ من الدخل العالمى !

خفض زيادة السكان الى الصفر :

ومن هذا القبيل : ما اعلنته « منظمة الاغذية والزراعة » التابعة للأمم المتحدة ، فى ١٩٧٢/٤/١٦ ، فيما وصفته بدراسة شاملة ، جاء فيها :

« ان تنظيم النسل فى جميع انحاء العالم ضرورى ، ما لم يكن الانسان يريد تلويث واستنفاد كافة المصادر الطبيعية ، على ظهر الكرة الارضية » .

ودعت المنظمة المذكورة الى : « خفض معدل زيادة السكان فى العالم كله ، حتى الى درجة تقرب من الصفر .. لان كثيرا من مظاهر التدهور الاخير فى البيئة ، يمكن ارجاع اسبابه الى المعدل السريع لتزايد ضغط السكان ، من اجل مزيد من الغذاء ، مما ادى الى التوسع فى الزراعة ، بصرف النظر عن الآثار السيئة البعيدة المدى »(١) .

فلحساب من هذه الدعوة المسمومة ؟

ان تخفيض معدل الزيادة لسكان العالم الى الصفر ، معناه تجميد الوضع الحالى بين دول العالم ، وبقاء الهوة الشاسعة بين الدول المتخلفة ، والدول المتحكمة ، كما هى دون تغيير ، فتظل الدول

---

(١) الاهرام فى ١٩٦٠/٢/٦

الصغيرة صغيرة الى الابد ، والدول الضعيفة ضعيفة الى الأبد ، وتستمر الدول الكبرى فى سيطرتها واستنزافها لموارد الدول الصغيرة والضعيفة .

ومن وجهة النظر العربية الاسلامية : نجد أن الدول العربية العشرين ، التى تمتد رقعتها من الخليج العربى شرقا ، الى المحيط الأطلسى غربا ، فى مساحة مترامية الأطراف تبلغ زهاء ١٢ مليونا من الكيلو مترات المربعة ، هذه الدول لا يزيد تعداد سكانها عن ١٢٠ مليونا ، فى حين أن مواردها ومساحاتها تستطيع استيعاب ضعف هذا العدد أو ضعفيه .

وفى مقابل هذه الدول العربية العشرين : نجد أن الولايات المتحدة التى لا يزيد مساحتها عن تسعة ملايين كيلو متر مربع ، قد بلغ تعدادها ضعف تعداد الدول العربية مجتمعة .. كما نجد دولة أخرى كانجلترا ، لا تزيد مساحتها على ٢٤٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، أى ١ : ٥٠ من مساحة الدول العربية ، ومع ذلك فان تعداد سكانها يناهز نصف عدد سكان الدول العربية العشرين !!

قد يقال : ان قسما كبيرا من أراضى الدول العربية مكون من صحارى لا تزرع ولا تسكن ، ونرد على ذلك بالآتى :

١ — « أن قسما غير يسير من الصحارى صالح للزراعة ، وان أكثر هذه الصحارى كان مزروعا فى عهد الرومان »(١) .

٢ — ان اسرائيل أثبتت فعلا امكان تحويل الكثير من أراضى سينا الصحراوية ، الى أراض زراعية مثمرة ، أقيمت بها مستعمرات ، يعيش فيها الوف من المهاجرين اليهود .

* * *

---

(١) تنظيم النسل : محاضرة للدكتور على عبد الواحد بوزارة الاوقاف عام ١٩٥٨

ومن جملة ما تقدم : تتضح لنـــا الحقائق التالية :

أولا : أن خطر الانفجار السكانى مازال بعيدا جدا بالنسبة للدول العربية ، بينما هو قريب بالنسبة لأمريكا ، وحقيقة واقعــة بالنسبة لانجلترا ومن على شاكلتها من الدول الأوربية .

ثانيا : أنه ليس فى استطاعة الدول الاســـتعمارية الكبرى ــ كانجلترا وأمريكا ــ زيادة تعدادها الا فى حدود ضيقة ، لعدم توفر الأراضى الزراعية والمصادر الطبيعية اللازمة لمجابهــة الزيادة فى تعداد السكان ، فى حين أن الدول العربية تستطيع مضــاعفة تعدادها لتوفر المساحات الشاسعة التى يمكن زراعتها ، وتوفر الخامات والمصادر الطبيعية ــ لا سيما البترول ــ بكميات وافرة .

ثالثا : ان ازدياد السكان فى الدول العربية ، يعنى مزيدا من القــوى البشرية ، ومزيدا من القــدرة على استثمار موارد البلاد ، وتصنيع خاماتها ، وتدعيم اقتصــادها ، ومزيدا من القوة ورباط الخيل ، لمقاومة مطامع الصهيونية والاستعمار ، يقابل ذلك : نقص فى حصـــول الدول الاســـتعمارية الكبرى على الخـــامات الزراعية والصناعية ، وتجميد لنمو القوى البشرية فيها ، وربما تناقصها . لعدم توفر الخامات الطبيعية اللازمة لزيادة السكان ..

رابعا : أن تخفيض معدل زيادة السكان الى الصفر ، لا يخدم الا مصالح الدول الاستعمارية ، بينما زيادة ذلك المعدل لا يضر الا هذه الدول ، ولا يهدد سوى مصالحها ، لأن معناه ضياع تفوقها الاقتصادى ، وانهيار نفوذها السياسى والعسكرى .

ومن اجل ذلك :

استنكرت منظمة الأغذية اتجاه الدول النامية الى التوسع فى الزراعة ، لمــا لذلك ــ فى نظرها ــ من آثار سيئة بعيدة المدى !!؟

فمن البديهى أن هذه الآثار السيئة لا تمس مصالح الدول

النامية فى قليل أو كثير ، وانما تمس مطامع الدول الاستعمارية الكبرى وحدها ، بحرمانها من استغلال الدول النامية واستمرار تسلطها عليها . فى حين أن التوسع الزراعى المذكور يخدم الدول النامية ، لا سيما العربية منها ، لأنه يعنى — كما ذكرنا — مزيدا من الموارد اللازمة للزيادة فى السكان ، ومزيدا من القوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة للتحرر من النير الاقتصادى والعسكرى للدول الكبرى .

الاسلام يدعو الى التكاثر :

وبعد : فلعل فيما بسطناه آنفا ، ما يكفى لتنبيه ولاة الأمور ، فى البلاد العربية والاسلامية ، بأهداف الدعوة الى تحديد النسل أو تنظيم الأسرة .

يقول صاحب الفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف — مفتى الديار المصرية الأسبق — ما خلاصته :

« تحديد النسل لم يثره فى مصر الا الاستعماريون الذين افزعهم تزايد السكان ، واقلقهم نمو الأمة ، ويقظة الشعور فيها الى اساليب الاستعمار ، وما له من اخطار على البلاد ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .. والمناداة فى كل الأقطار بتحرير الأوطان منه ، وتخليص البلاد من شروره » .

■ لقد ادرك الاستعمار ان فى تزايد السكان ، ويقظة الشعب ، نذيرا بتقلص ظله ، والقضاء على مآربه ، فاخذ اذنابه ورجال مخابراته ، يرجفون فى البلاد بلتها وشبكة الضيق والمجاعة ، اذا استمر نمو السكان باطراد .. » .

■ ان من اهم مقاصد التشريع الاسلامى تكثير سواعد الأمة ، حتى تواجه الخطوب بسواعد قوية ، وقوى عاملة ، وتستثمر خيرات الأرض بكثرة قاهرة ، وعقول جبارة .. وتقف فى وجوه الأعداء

الذين يتربصون بها الدوائر بجيوش حاشدة ، تمدها على التوالى بامداد متتابعة ، اذا جد الجد ، وحزب الأمر »(١) .

الأخطار الخلقية لتنظيم النسل :

ولا يخفى على أحد — علاوة على ما ذكرناه — ما يؤدى اليه انتشار وسائل منع الحمل ، فى مجتمعنا الاسلامى ، من أخطار خلقية محققة ، تتصل بالحفاظ على الأعراض ، وصيانتها من الدنس .

فمما لا شك فيه : أن سهولة الحصول على هذه الوسائل « من حبوب وحواجز وغيرها ، سوف يشجع العابثين من الجنسين على ممارسة علاقاتهم الجنسية الآثمة ، دون خوف من افتضاح أمرهم ، أو ظهور أى أثر لجريمتهم ، بل انه سيشجع على انتشار الفاحشة ، بين الذين كانوا يتهيبون من الاقدام عليها ، فى مختلف الأوســاط .

ولابد لدرء هذا الخطر الداهم ، من تقييد الحصول على هذه الوسائل — كما هو الشأن فيما يتعلق بالسموم القاتلة — بما يحول دون سوء استغلالها ، بأن يكون صرفها عن طريق تذاكر طبية ، تعطى — فى حالة الضرورة القصوى — للمتزوجين من الرجال دون غيرهم ، ولا تصرف الا بعد التثبت من وجود الزوجة فى بطاقاتهم العائلية ، وذلك أضعف الايمان .

الأخطار الصحية لحبوب منع الحمل :

ومن ناحية أخرى : فانه بالرغم من الدعاية المنظمــة التى تستهدف نفى الأضرار الصحية التى تصيب السيدات ، من جراء تناول حبوب منع الحمل ، فان الأوساط الطبية الدولية ، تؤكد وجود

---

(١) تحديد النسل خطر اجتماعى لا يقره الاسلام ، لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف . صوت الاسلام : العدد ٦٤ .

هذه الأضرار ، بدليل اهتمامها بالبحث فى كيفية تداركها ، أو التخفيف من حدتهـــا .

■ **وفى المؤتمر الدولى لتنظيم الأسرة الذى عقد أخيرا فى جنوة بايطاليا : كان من أهم الأبحـــاث التى نوقشت ، بحثـــان لطبيب ارجنتينى : الاول على أقراص منع الحمل التى يستخدمها الرجل .. أما البحث الثانى فيدور حـــول مبـــدأ المشاركة والتعـــاون بين الزوجين فى تحديد نسلهما ، وذلك عن طريق اســـتعمال الزوج لحبوب منع الحمـــل ستة أشهر فى السنة ، واستعمال الزوجـــة الأقراص فى الستة أشهر الباقية »(١) .**

وواضح أن مبدأ المشاركة المقترح ، انما يقصد به مساهمة الزوجين فى تحمل الأضرار الناتجة من استعمال الحبوب والعقاقير الخاصة بتحديد النسل ، بدلا من تحمل المرأة وحدها لهذه الأضرار .

* * *

وقد تسببت حبوب منع الحمـــل فى بريطانيا — فى أوائل الستينات — فى ولادة مئـــات من الأطفـــال المشوهين ، وفى رفع القضايا العديدة ضد الشركة المنتجة لهذه الحبوب ، من أسر الأطفال المشوهين ، للمطالبة بتعويضات عن الأضرار الفادحة التى أصابت أبناءهم ، من جراء تناول الأمهات لهذه الحبوب .

واستمرت المشكلة معروضة على القضاء سنوات طويلة .. **وأخيرا : فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٧٣ : « صدقت المحكمة البريطانية العليا : على الاتفاق الخاص بالتعويضات الذى تم الوصول اليه بين الشركة المنتجة لعقار « الثاليدومين » وبين أسر الأطفال الذين ولدوا مشوهين ، نتيجة لتناول أمهاتهم ذلك العقار أثناء الحمل فى أوائل الستينات .**

---

(١) الاهرام : فى ١٩٧٢/٥/١٢

وقد بلغت قيمة هذه التعويضات ٢٠ مليونا من الجنيهات الاسترلينية ، تدفع لأسر ٤٣٣ طفلا مشوها »(١) .

٣ ـ الهدف الاقتصادى

ولا شك فى أن تكوين الأسرة يحقق أهدافا اقتصادية ، لها قيمتها فى حياة الأفراد ، ولها فاعليتها فى كيان الأمة .

أما بالنسبة للأفراد : فيظهر اثر الأسرة من متابعة حياة العزاب ، فهم ــ غالبا ــ فى فوضى من العيش ، وفقر من المال ، لما تتطلبه حياة العزوبة من تكاليف مضاعفة فى كل شىء ، من مأكل ومشرب ، أو من ملبس ومسكن ، أو غير ذلك من أبواب المعيشة ، فى حين نرى من دونهم دخلا من المتزوجين ، يعيشون فى كنف الأسرة فى يسر وهناء ، مع أولادهم وأزواجهم ، ومن يعولون من أهليهم .

ومن ثم فان هبوط الدخل ــ نسبيا ــ لبعض الناس ، لا يصح أن يكون مانعا لهم من تكوين الأسرة ، وانجاب الذرية ، لأن الاسلام دين طهر وتقوى ، ودين روح وايمان ، ولا شك فى أن حياة الأسرة أطهر وأتقى ، وبركتها أعظم وأكرم ، فالقليل فى ظلها يكثر بالايمان والتقوى ، والمصاعب تذلل بالتعاون والمحبة ، والكثير بدونها قد يذهب هباء منثورا .

من أجل ذلك : حث سيد المرسلين ــ صلى الله عليه وسلم ــ على بناء الأسر ، ولو لم يتحقق اليسر ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال »(٢) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٣/٧/٢١

(٢) الجامع الصغير ، عن ابى داود ، من حديث عروة رضى الله عنه .

والمعنى : ان الزواج بهن من أسباب البركة ، وهـذا لا يخفى على أهل الايمان ، فان الزواج باعتباره عاصما للنفوس من الخواطر، وللفروج من الفاحشة ، سيرتفع بالمستوى الروحى للزوجين ، ويعينهما على تقوى الله ، وهى سبب كل خير ، وأصل كل فضيلة ، فقد قال تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب »(١) .

وروى جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنه ــ قال :

« جاء رجل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يشكو اليه الفاقة ، فأمره أن يتزوج »(٢) .

* * *

وأما أثر الأسرة فى نهضة الأمة ورفع مستواها ، فهو نتيجة طبيعية لتوفر الأيدى العاملة ، اللازمة لاستصلاح الأراضى واستثمار الموارد ، واستخراج الثروات الطبيعية برا وبحرا ، وفى كل هذا وغيره قوة للأمة ، وتحقيق للاكتفاء الذاتى لاحتياجاتها ، وحماية لها من سيطرة الأعداء عليها . يقول فضيلة مفتى الديار المصرية الأسبق : الشيخ حسنين محمد مخلوف .

« دعا الاسلام الى العلم والنور ، وأوجب على أهله الكسب والعمل ، والجد فى الحياة واستنباط وسائل العيش الرغيد ، بطريق الصناعة والزراعة والتجارة ، حتى تستغنى الأمة بها ، وتعز بوجودها ، ولا تعيش على فتات موائد الأعداء ، وتحت رحمتهم ▪ .

« ولما كان كل ذلك لا يتم الا بالأيدى العاملة ، والعقول المفكرة،

---

(١) سورة الطلاق : آية ٢ و ٣ .
(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخه .

والجماعات المتعاضدة ، رغب الشارع فى كثرة النسل وحث عليه ، فقال الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه :

« تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم »(١) . وقال :

« تناكحوا تكثروا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة »(٢) ونهى عن الجب والخصاء والترهب ، وهجر النساء تبتلا ، ورغب فى الزواج ، وأباح التعدد بشروطه .

هذه هى نظرية الاسلام فى الدعوة الى كثرة النسل ، ويؤيدها ما عرف بداهة فى الشريعة ، من حرصها على اقامة دولة ، وبناء امة، تبقيان ابد الدهر الى يوم القيامة ، ولا يتم ذلك الا اذا اضطرد نموها، وازداد عديدها على مر الدهور ، وفى ذلك بقاؤها وعزتها ، وقدرتها على مغالبة الدهر ، ومكافحة الأحداث(٣) .

٤ - الهدف الخُلُقى

ويعتبر الاسلام بناء الأسرة وسيلة فعالة لحماية الشباب من الفساد ، ووقاية المجتمع من الفوضى ، ولذلك : اختص الشباب بقسط أوفر من الدعوة الى الزواج ، باعتباره الزم له ، واوجب فى حقه ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج : فانه اغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء »(٤) .

---

(١) أبو داود والنسائى والحاكم من حديث معقل بن يسار . والودود : المحبة لزوجها ، والولود : التى يظن بها كثرة الانجاب ، ويعرف ذلك بأمها واقاربها .

(٢) رواه عبد الرازق فى جامعه ، والبيهقى فى سننه عن سعيد بن أبى هلال مرسلا (العجلونى فى كشف الخفاء : ٣١٨/١) .

(٣) صوت الاسلام عدد ٨٤ فى ٢٠ ربيع الآخر ١٣٧٩ هـ .

(٤) رواه الخمسة : من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

والباءة : هى القدرة على مؤن الزواج وأعبائه ، وهى مسألة نسبية تختلف باختلاف الناس ، ونظرتهم الى الحياة ، والمعول فى هذا على التيسير ، وتوفر الضرورى من احتياجات الحياة .

والوجاء : اخذ الخصيتين لقطع الشهوة .

والمعنى المقصود من الحديث الشريف : أن من توفرت له القدرة على الزواج من الشباب ، فليقدم عليه ، لما فيه من سلامة لدينه ، وسكون لنفسه ، وتحصين لفرجه ، ومن لم تتوفر له هذه القدرة ، فعليه بالصوم الذى يقمع من شهوته ، ويكبح من نزوته .

وقد خص النبى صلى الله عليه وسلم الشباب بهذا الهدى الكريم ، لأن توفر قوة الشهوة فيهم ، تجعل حاجتهم الى الزواج اشد ، والضرر من اعراضهم عنه أكبر ، سواء بالنسبة لأنفسهم ، باحتمال انحرافهم عن طريق الفضيلة والطهر ، أو بالنسبة للمجتمع الذى يؤدى فيه الاعراض عن الزواج ، الى انتشار الفاحشة ، وذيوع المنكرات ، وتفشى الأمراض الخبيثة ، وكثرة أولاد الزنا ، كما هو الحال فعلا فى المجتمعات العصرية ، لا سيما المجتمع الامريكى ، حيث انتشرت الاباحية بين الجنسين .

الفوضى الجنسية فى المجتمعات الغربية :

وقد جاء فى مجلة المختار (العدد ٢٢٣ — نوفمبر ١٩٤٠ — ص ٣٦) ما ترجمته :

« ان معدل الفتيات اللاتى يذهبن شهريا من بعض المعاهد العليا بمدينة نيويورك ، الى المصحات الخاصة بالامهات غير المتزوجات : يبلغ فتاتين فى كل شهر » .

« وان من بين ٨٠٫٠٠٠ من الاطفال الذين ولدوا سفاحا فى العام الماضى قد ولد نصف هذا العدد من فتيات يتراوح عمرهن بين ١٥ و ١٩ سنة » .

« وأن حوادث اغتصاب الأعراض ، والأمراض التناسلية ، تزداد انتشارا بين الشباب » .

فاذا كان هذا هو حال الأوساط الجامعية ، بالمجتمع الأمريكى ، فكيف يكون حال الأوساط الشعبية والعمالية ؟!

* * *

ومنذ سنوات : أصدر الكاتب الأمريكى « دكتور كنسى » كتابا عن « المرأة والحب » عرض فيه طرفا من الفوضى الجنسية التى وصل اليها المجتمع الأمريكى ، نتيجة روح الاستهتار والاباحية المنتشرة بين الشباب ، جاء فيه :

* أن هناك ١٠٠,٠٠٠ فتاة سنويا ، يغرر بهن الرجال ، ويصبحن بلا شرف ولا سند ، مما اضطرهن الى احتراف الهوى .

* أن الفتاة الأمريكية كانت – فى الماضى – تتحول الى امرأة فيما بين السابعة عشرة والعشرين ، أما الآن فانها تصبح امرأة من الثالثة عشرة . . . !!

* أن نسبة الفتيات اللاتى تزوجن ، وهن على تمام العلم بما هو الزواج ، عن طريق المباشرة يبلغ ٧٠٪ ، وأن هذه النسبة من المنتظر زيادتها الى ٨٠٪ (١) .

* أن ما يقرب من ١٣٠,٠٠٠ طفل يولدون ولادة غير شرعية فى الولايات المتحدة سنويا(٢) .

* * *

(١) جريدة النداء : فى ١٩٥٠/٤/٢٥ .
(٢) جريدة الزمان : فى ١٩٥٢/٨/٢٩

على أن هذه الصورة التى قدمها « دكتور كنسى » على ما فيها من خطورة ، هى فى الواقع دون الحقيقة بكثير .

فقد « اعلن ادجار هوفر » مدير مكتب التحقيقات الجنائيــة بواشنطون،أن الأزقة والحدائق والشوارع الهادئة،تعد من الأماكن الخطرة ، لا سيما فى اشهر الصيف ، حيث تبلغ الجرائم العاطفية اوجهـــا .

* وأن حوادث الاغتصاب زادت بنسبة ٨٠٪ عما كانت عليها قبل الحرب العالمية الأخيرة .

* وأن معدل الحوادث فى العام الماضى — ١٩٥٤ — بلغ أكثر من حادثتى اغتصاب ، وعشرة حوادث هجوم واعتداء ، فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، أى بمتوسط ٤٨ حادثة اغتصاب ، و ٢٤٠ حادثة هجوم واعتداء يوميا !!.

* أن من بين حوادث الاغتصاب مئات كانت ضحاياها فتيات لم يبلغن سن الرشد !

* أن هذه الاحصاءات لا توضح عدد حوادث الاغتصاب التى أخفاها الضحايا خشية الاحراج .

وختم مدير التحقيقات الجنائية حديثــه بأن هـــذه الجرائم ، تخلف كثيرا من البؤس والشقاء فى منازل لا تحصى(١) .

٧٥٪ من المواليد : غير شرعيين :

وقد كشفت النشرة الاحصـــائية لهيئة الأمم المتحـــدة ، فى عام ١٩٥٩ ، عن مدى عمق الهاوية التى تنحدر اليها المجتمعات الغربية ، كنتيجة لتفكك الأسرة ..

« لقد اثبتت هذه النشرة بالأرقام والاحصائيات : ان العالم

---

(١) جريدة الاهرام : فى ١٩٥٥/٦/٢٨ .

الغربى يواجه الآن مشكلة الحرام اكثر من الحلال ، فى شان المواليد، وجاء فى هذه الاحصائية ان نسبة الأطفال غير الشرعيين قد ارتفعت الى ٦٠٪ ، واما فى بعض البلاد ، وعلى سبيل المثال « بناما » فقد جاوزت هذه النسبة ٧٥٪ ، اى انه من كل اربعة مواليد : ثلاثة عن طريق الحرام : واعلى نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين موجودة فى امريكا اللاتينية » .

وفى نفس الوقت اثبتت النشرة المذكورة ان استقرار الاسرة فى البلاد الاسلامية كان من اثره : « ان نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى العدم فى هذه البلاد » .. وتقول النشرة : « ان نسبة هؤلاء الاطفال اقل من ١٪ فى مصر ، مع انها اكثر البلاد الاسلامية تاثرا بالحضارة الغربية » .

ويقول محررو هذه النشرة الاحصائية :

« ان البلاد الاسلامية محفوظة من هذا الوباء ، لانها تتبع نظام تعدد الزوجات »(١) .

ولا شك أن تعدد الزوجات من اسباب سلامة المجتمع الاسلامى ، ولكن اذا علمنا ان نسبة التعدد فى مصر لا تزيد عن ٢٪ ، تبين لنا ان هناك اسبابا اخرى ، مثل الحجاب ، وعدم الاختلاط بين الجنسين ، الذى مازال منتشرا فى كثير من الأوساط المحافظة ، وبوجه عام : فان سلامة الأسرة المسلمة من مفاسد المدنية الغربية، هى السبب الاول لسلامة المجتمع الاسلامى من الفجور .

الشذوذ الجنسى فى المجتمع البريطانى :

أما فى انجلترا : فيكفى أن نتذكر المدى البعيد الذى وصل اليه التحلل الخلقى ، فى المجتمع البريطانى ، كنتيجة طبيعية للاعراض

---

(١) الاسلام يتحدى : لوحيد الدين خان ، ص ١٧١ عن جريدة « الاوقات الهندية » فى ١٩٦٠/٦/١٢ .

عن الزواج ، وتحلل الاسرة ، حتى أن المجلس البريطانى للكنائس ، كون لجنة لتحديد موقف الكنيسة من العلاقات الجنسية غير المشروعة ، وبعد دراسة استمرت عامين ، أصدر المجلس المذكور فى ١٨/١٠/١٩٦٦ تقريرا جاء فيه :

« ان الزنا لا يجب ان ينظر اليه على انه سبب تلقائى للطلاق ، ولكن كفرصة للعفو والغفران »(١) !

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، اذ أن الشذوذ الجنسى تفشى فى المجتمع الانجليزى الى الحد الذى حمل أحد نواب حزب المحافظين بمجلس العموم البريطانى ، وهو : « سير روبرت بوثبى » على المطالبة « بتأليف لجنة لدراسة الشذوذ الجنسى فى بريطانيا ، حيث أنه فى أكثر المدن الاقليمية توجد شبكة خفية من الرجال المصابين بهذا الشذوذ ، وهم مصدر خطر دائم يتهدد شبابنا الصغار »(٢) .

كان ذلك فى أوائل عام ١٩٥٤ ، وبعد ذلك بعامين تقريبا ، وكنتيجة لعدم ظهور اى نتيجة للجنة التى طالب نائب المحافظين بتشكيلها : « طالب نائب عمالى من رئيس الوزراء « سير أنطونى ايدن » تأليف لجنة للتحقيق فورا فيما قيل من أن بعض أعضاء البرلمان : يمارسون الشذوذ الجنسى ، وان المجلة الطبية البريطانية، وبعض الصحف الأخرى نشرت تقريرا بهذا المعنى »(٣) .

وبالرغم من توالى الصيحات عاما بعد عام ، فان تفشى ذلك الداء بين الانجليز ، لا سيما بين كبار رجال الدولة فيهم ، دفع ببعض ذوى الرأى الى المطالبة باباحة اللواط بين البالغين ، عند اتفاقهم ، بشرط أن يكون فى غير علانية ، وقد تقدم بالفعل بعض

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : للدكتور محمد البهى : ص ١٢٠ .
(٢) المصرى : فى ١٩٥٤/٢/٢١
(٣) الأخبار فى ١٩٥٥/١٢/٢٠

اعضاء حزب المحافظين فى انجلترا ، الى مجلس العموم البريطانى ، فى دورة نوفمبر سنة ١٩٦٥ ، بمشروع قانون يتضمن هذه الاباحة ، بعد أن تحمس جو مجلس اللوردات فوافق على التعديل فى دورته السـابقة(١) .

وانتهت هذه الجهود (المشكورة) بموافقة مجلس العمـوم سنة ١٩٦٩ على قانون يبيح الشذوذ الجنسى ، ولا يرى فيه اية غضاضة أو عار ، ولو كان بين كبار رجال الدولة(٢) ..!!

* * *

ومع اباحة الشذوذ الجنسى بين البالغين ، فان ذلك لم يضع حدا لسقوط الفتيات الانجليزيات ، لأنه متى ابيحت الفاحشة فى صورة ما ، فقد دلت على انحطاط المجتمع ، وافتقاره للقيم التى توقفه عند حد .. وعندئذ تستباح كل كرامـة ، وتستمرأ كل شهوة دنيئة !!

وهكذا : فقد زادت حالات الحمل بين طالبات المدارس زيادة كبيرة ، مما اضطر المستر « كيث جـوزيف » وزير الخـدمات

---

(١) الفكر الاسلامى : ص ٣٦ ، عن الهيرالد تريبون فى ١٩٦٥/١٢/٢٩ .

(٢) لاشك أن هذا المستوى من البهيمية التى يعيش فيها المجتمع البريطانى . وغيره من المجتمعات المعاصرة . فيه اقوى حجة ، وافحم رد على هؤلاء الذين ينكرون على الاسلام « دعوته الى عدم اختلاط الجنسين،وفرضه للحجاب بينهما،ويزعمون ـ فيما يزعمونه ـ أن ذلك من اسباب شيوع الشذوذ الجنسى فى بعض البلاد الاسلامية، المتشددة فى تطبيق الحجاب » ولو كان ذلك حقا لكان حجة عليهم لا لهم ، لان معناه أن اختلاط الجنسين يسهل الاتصالات الجنسية بينهما ، بحيث لا تصبح معه حاجة الى وقوع هذه الاتصالات بين افراد الجنس الواحد،فكيف وهذا هو المجتمع البريطانى البرىء من الحجاب ، والذى يختلط فيه الجنسان الى أبعد الحدود وتقـوم فيه العلاقات الجنسية بينهما على قدم وساق وتثمر فيه هذه العلاقات غير المشروعة مئات الألوف من ابناء الزنا » ومع ذلك فان هذا الاختلاط ، وهـذه الاباحية بين الجنسين لم تمنع من شيوع الشذوذ الجنسى أضعاف اضعاف مقداره فى بعض البـلاد الاسلامية ، ولم تمنع من أن يصبح هذا الشذوذ المنكر من الأمور المتعارف عليها فى المجتمعات المعاصرة ، بحيث تسن له القوانين اللازمة لحمايته !.

الاجتماعية ، الى ان يعلن « ان الحكومة البريطانية ، قد اعتمدت مبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني ، لتقديم الوسائل المجانية لمنع الحمل ، لطالبات المدارس البريطانية ، بعد تزايد حالات الحمل بينهن ، واشترطت الوزارة للمستفيدة من هذا الاعتماد : تقديم موافقة ولى الأمر »(١) !!

ومعنى ذلك : ان الاتصال الجنسى غير المشروع ــ نتيجة لتحلل الأسرة البريطانية ــ اصبح مباحا ، تقره الحكومة بالنسبة لطالبات المدارس ، وتقدم الوسائل اللازمة لمنع آثاره ، كما يقره الآباء والأمهات بالنسبة لبناتهن ، ويقدمون الاقرار اللازم لحصولهن على حبوب منع الحمل ، وغيرها من الوسائل المانعة منه !!

.. فى المانيا الغربية :

ولقد كان من أهم ما عنى به الحلفاء بعد هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية ، وتقسيمها الى دولتين ، هو العمل على تحطيم الأسرة الالمانية ، ونشر الاباحية والتحلل بين شباب الجيل الجديد ، سعيا الى اضعاف الدولة ، باضعاف روابط الأسرة .

ولقد نجح الانجليز والأمريكان فى صبغ المجتمع الالمانى ــ الذى كان يمتاز بالجدية والرجولة ــ بنفس الصبغة التى تسود المجتمعات الانجليزية والأمريكية ، حتى انتهى **الأمر بالبرلمان الالمانى ــ فى المانيا الغربية ــ الى ان وافق فى يونية سنة ١٩٧٣ ، باغلبية ٢٥٤ صوتا ضد ٢٠٣ اصوات ، على مشروع قانون قدمته الحكومة باجراء تعديلات خطيرة فى القوانين المتعلقة بالجنس ، وفى مقدمة ذلك :**

١ ــ رفع الحظر عن تبادل الزوجات !!

---

(١) الجمهورية فى ١٩٧٢/٢/٢٦

٢ — اباحة ممارسة الشـذوذ الجنسى ، بموافقة الطرفين بين الرجال ، ابتداء من سن ١٨ سنة بدلا من ٢١ سنة !!

٣ — السماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة ، لأى مواطن جاوز عمره ١٨ سنة(١) !!.

ذيوع الاجهاض في المجتمعات الغربية :

أما في المجتمع الفرنسى : فقد بلغ التحلل الخلقى حدا حمل الحكومة الفرنسية على « التهـديد بزيادة العقوبة على عمليات الاجهاض ، بعد أن ثبت من الاحصاءات الرسمية : أن نسبة عمليات الاجهاض » زادت عن عمليات الولادة بكثير جدا « بالرغم من أن العملية الأولى محرمة قانونا ، فبينما بلغت نسبة الولادة ٩٥ الفا ، قفزت نسبة الاجهاض الى ١٥٠ الفا »(٢) .

على أن هذه الحالة رغم خطورتها ازدادت تفاقما عاما بعد عام ، حتى أن قطاعات كبيرة من الشعب الفرنسى ، قامت أخـيرا ، تطالب بمنـح المرأة حرية التخلص من الجنـين الذى تحمـله فى احشـائها .

« وفى محاولة جديدة لاقناع الحكومة باباحة الاجهاض : بدأت المنظمات النسائية الفرنسية فى تخصيص مجموعة من الاتوبيسات الكبيرة ، التى تتخذ لهـا موقفا فى أكبر ميادين العاصمة الفرنسية، ليركبها أكثر من ٥٠ امرأة وفتاة ، بمعدل ٣ مرات اسبوعيا — ليذهبن الى هولندا حيث تجرى لهن هناك عمليات الاجهاض ، ثم يعدن فى نفس اليوم الى باريس ! » .

« وهذه العملية لا تتم سرا بل تحاط بحملة دعاية واسـعة جدا ، ويكفى أن نعلم أن الأوتوبيس قد وضعت عليه لافتة — بطول

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٣/٦/٩
(٢) الاهرام فى ١٩٦٠/٢/٦

السيارة ــ كتب عليهــا بالخط الكبير : لقــد تم اجهاضــها فى هولندا »(١) !!

وكنتيجة لهذه التيارات القوية ، التى تجتاح المجتمع الفرنسى، لارغام الحكومة على اباحة الاجهاض ، فقد تقدم بعض النواب الى البرلمان الفرنسى بمشروع قانون لاباحة الاجهاض ، وحددت لمناقشته جلسة فى أواخر نوفمبر ١٩٧٤ .

البابا يعلن : الاجهاض جريمة قتل :

وقد قابل البابا (بولس السادس) المشروع باشــد مقاومة واعتنفها باعتباره الأب الروحى للعالم المسيحى . واعلن صراحــة : **« ان الاجهاض جريمــة قتل ، ولا يمكن تبريره بالفقر أو عــدم الشرعية ، او مشكلة الانفجار السكانى فى العالم» .**

وقال البابا فى وثيقة أعلنها ، عشية المناقشة التى اجراهــا البرلمان الفرنسى ، حول قانون اباحة الاجهاض .

« ان أيا من هذه الأسباب لا يمكن ان يبيح الحق فى التخلص من حيــــاة انســـان آخر ، ولو كانت تلك الحيـــاة ما زالت فى بدايتهــا »(٢) .

ولا شك أن مقاومة البابا للاجهاض انما هى فى الواقع مقاومة للأســـباب المؤدية اليه ، وهى الاباحية الجنســـية التى ذاعت فى المجتمع الغربى ، وفى نفس الوقت هى مقـــاومة للأضرار المترتبة عليه ، من الحد من زيادة السكان ، فضلا عن تعريض الأمة لتناقص تعدادها ، كنتيجة لاحلال العلاقات غير الشرعية ، محل العلاقات الشرعيـــة .

* * *

---

(١) اخبار اليوم فى ١٩٧٤/٤/٢٠

(٢) الاخبار فى ١٩٧٤/١١/٢٦

وبالرغم من استنكار البابا للاجهاض ، وتأثيمه للداعين اليه ، فان المشروع المعروض على البرلمان الفرنسى لاباحته ، حظى بأغلبية ٢٨٤ صوتا مقابل ١٨٩ صوتا ، وذلك بعد مناقشات عاصفة ، استمرت طوال ثلاثة ايام ، حتى الرابعة الا ثلث من صباح الجمعة ١٩٧٤/١١/٢٩(١) !!.

على أن هذه النتيجة — التى كان للشيوعية والصهيونية العالمية ، اكبر الاثر فى الوصول اليها — لم تحسم المعركة نهائيا ، لأن المشروع لابد من عرضه على مجلس الشيوخ لاقراره ، ومن المنتظر ان يلقى مقاومة اشد من تلك التى لقيها من قبل .

وبديهى أن الاجهاض انما القصد منه القضاء على ثمرة العلاقات غير الشرعية » التى انتشرت فى المجتمع الفرنسى ، نتيجة الانحراف عن العلاقات الشرعية ، فى ظل الأسرة .

* * *

وفى المانيا الغربية « وافق البرلمان الألمانى باغلبية ٢٤٧ صوتا ضد ٢٢٣ صوتا على اباحة عمليات الاجهاض خلال الـ ١٢ اسبوعا الأولى من الحمل ، ولا يجوز خلال الفترة ما بين ١٢ و ٢٢ اسبوعا الا بعد فحص الحامل بواسطة لجنة طبية تقرر أن الطفل والجنين معرضان للخطر ، وفى كلتا الحالتين تتحمل الدولة نفقات اجراء العملية .. وحتى صدور قرار اباحة الاجهاض ، كانت ٥٠ الف المانية تذهبن سنويا الى بريطانيا لاجراء العملية ، بينما كانت تجرى فى المانيا ٢٠٠ الف عملية سرية سنويا ، وهذا رقم ضخم اذا علم ان ٢٦٪ من الالمانيات يستخدمن احدث وسائل منع الحمل »(٢) .

* * *

(١) الاهرام فى ١٩٧٤/١١/٣٠
(٢) الاهرام فى ١٩٧٤/٦/٢

وكنتيجة لمشاكل الأمومة غير الشرعية ، ومشاكل الطفولة من ابناء الزنا ، وذيوع الطلاق بسبب الخيانة الزوجية ، « اعتبرت المجتمعات الصناعية المتطورة ــ كالسويد ــ الأم غير المتزوجة ، كالأم المتزوجة ، والطفل من غير أب هو زوج ، كالطفل من أب هو زوج ، في وجوب الرعاية ، وفي كافة الحقوق المدنية . كما اعتبرت بعض مجتمعات اخرى متطورة ايضا ، كمجتمع الدانيمارك ، جريمة الزنا ليست سببا كافيا للطلاق »(١) .

اطفال للبيع ، في اسواق اوروبا وامريكا :

ولقد بلغ من آثار تفكك الأسرة ، في المجتمعات الغربية ، أن « زادت أعداد الأمهات اللاتي يعرضن اطفالهن غير الشرعيين للبيع في أوروبا ، بعد ان وصل السعر الى اكثر من الف جنيــه للطفل الواحــد . وأكثر من ذلك : أن صفقات البيع تتم قبل ان يولد الطفــل ، وقوائم الانتظار تضم مئات الطلبــات .. وتجرى الآن دراسات واسعة حول انتشار هــذه الظاهرة الخطيرة في بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا وهولندا وأمريكا . بعد ان بدأت تأخذ شكل ســوق سوداء ، يديرها طبيب انجليزى اسمه : د . سانج ، له مستشفى ولادة خاص به في لندن »(٢) .

وبعــد :

فان الاسلام الحنيف ، بتركيزه على تكوين الأسرة ، كوســيلة وحيدة لاقامة العلاقات الزوجية المقدسة بين الجنســين ، قد حمى المجتمع الاسلامي من كل هذا البلاء ، فظل الى اعظم حد هو المجتمع الطاهر ، الذى تزدهر فيه القيم ، وتغمره الفضائل ، وتصان فيه الأعراض والحرمات .

---

(١) الفكر الاسلامي للدكتور محمد البهي : ص ٢٧١
(٢) الاهرام في ١٩٧٤/٥/٢٩

ولما كان الشباب عادة فى حاجة الى معونة الآباء لتكوين الأسرة المنشودة ، فقد اعتبر الاسلام الزواج من الحقوق الادبية ، للولد على والده » ما استطاع الى ذلك سبيلا ، والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

« حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويزوجه اذا ادرك: ويعلمه الكتاب »(١) . وقال ايضا فى نفس المعنى :

« حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، ويحسن موضعه، ويحسن ادبه »(٢) .

٥ - الهدف الصحى

ويهدف الاسلام من تكوين الأسرة المسلمة الى صيانة صحة الشباب وقوتهم ، من أن تستنزفها العادات السرية الضارة ، وما يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية لا تخفى خطورتها ، أو ان تفتك بها الأمراض الخبيثة ، والأوبئة الجنسية ، التى اقتضت عدالة المولى عز وجل ، ان يصيب بها المجتمعات التى تظهر فيها الفاحشة ، وتشيع فيها المنكرات ، وأن يحمى منها المجتمعات والبيوت المؤسسة على الطهر والتقوى ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ يقول :

« ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط الا أصابهم الطاعون والأوبئة التى لم تكن فى أسلافهم »(٣) .

انتشار الاوبئة فى المجتمعات الغربية :

وحقا قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، الذى لا ينطق

---

(١) الديلمى فى مسند الفردوس ، وأبو نعيم فى الحلية ، من حديث ابى هريرة رضى الله عنه .

(٢) البيهقى فى شعب الايمان ، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها .

(٣) الطبرانى : من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

عن الهوى ، فقد اثبتت البحوث والتقارير الرسمية ، ان الأمم الأوربية والأمريكية ، قد انتشرت فى مجتمعاتها الأمراض السرية بصورة وبائية ، رغم تقدم الوسائل العلمية والطبية.وذلك نتيجة طبيعية لشيوع العلاقات غير الشرعية ، لا سيما بين الشباب والفتيات غير المتزوجات .

* فقد اعلنت منظمة الصحة العالمية ، التابعة لهيئة الأمم المتحدة : « ان الأمراض التناسلية قد ازدادت انتشارا بين الشباب فى كثير من الدول ، ولا سيما بين الفتيات اللاتى تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ سنة » ..!!

« وعزت المنظمة أسباب هذه الظاهرة الى نقص النظام فى الحياة العائلية ، والجهل بطبيعة ووظيفة الجنس ، ونقص الايمان بالدين ، وتحرر النساء »(١) .

* هذا هو مدير المركز القومى لأبحاث الأمراض المعدية ـ دكتور ديفيد سبنسر ـ يعلن فى جلسة سرية للكونجرس الأمريكى، أن مرض السيلان قد انتشر فى الولايات المتحدة الى حد أنه « فقدت السيطرة عليه » .. وطالب بزيادة الاعتمادات اللازمة لمقاومة هذا المرض التناسلى الخطير الى ١٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار سنويا .

* واوضح دكتور ديفيد : أن الأطباء الامريكيين يواجهون مشكلة عدم سهولة كشف الاصابة بهذا المرض عند النساء ، كما هى الحال لدى الرجال « وأضاف أنه فى جماعات سكانية معينة فى الولايات المتحدة » وجد أن ٣٥٪ من النساء مصابات بهذا المرض »(٢) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٦٥/٤/١٠
(٢) الاهرام فى ١٩٦٨/٥/٩

*** وجاء فى تقرير لمنظمة الصحة العالمية :**

« ان الزيادة فى الاصابة بالأمراض السرية فى الولايات المتحدة والدول الاسكندنافية وبريطانيا ، قد خرجت عن نطاق السيطرة عليها ، وان الاصابة بالسيلان فى الولايات المتحدة قد وصلت الى حد الوباء » .

« وانه بالرغم من الأدوية الشديدة الفاعلية ، لم تنجح بعد اى وسيلة فى وقف موجة هذه الأمراض المعدية .. وان نسبة الاصابة بهذه الأمراض تكثر بصورة خاصة بين الشباب : بما فى ذلك طلبة المدارس ، حيث تبلغ نسبة الاصابة بين من هم دون العشرين، ضعف المعدل العادى للاصابة ، كما ان هناك عددا ضخما من حالات السيلان التى لم يتم تشخيصها او علاجها ، والتى تصيب الفتيات والسيدات »(١) .

* * *

هذا هو بعض ما تفيضيه المجتمعات الغربية (الراقية) من أوباء خبيثة .. كنتيجة طبيعية لذيوع العلاقات غير المشروعة بين الجنسين ، وافتقاد الأسرة لمكانتها وتدسيتها فى المجتمع ، بعكس ما يقع فى البيئات الريفية المحافظة ، حيث الاقبال على تكوين الأسرة له أهميته ، وحيث تحتفظ الأسرة بقدسيتها وتقاليدها ، فان الأمراض السرية تكاد ان تكون فى حكم العدم ، فى حين انها فى المدن اكثر ظهورا وانتشارا ، وهذا مما يؤكد أن العلاقات غير الشرعية ، هى وحدها التى تعرض أصحابها لمثل هذه الأمراض ، تحقيقا لقول الله تعالى فى محكم كتابه :

« ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا »(٢) .

تقدير الاسلام للطبيعة البشرية :

وفضلا عن كل ما ذكرناه ، فان الذى لا محل لتجاهله ، أن

---

(١) الاهرام فى ١٩٧١/١/٨

(٢) سورة الاسراء آية : ٣٢

تكلف العزاب كبت شهواتهم ، فيه من العنت ما لا يطيقه الا الاقلون، لمخالفته للطبيعة البشرية ، التى تتطلب منصرفا لغرائزها ، ومنطلقا لشـــهواتها .

واذا كان الاسلام قد عالج ذلك بحثه الشباب على الصيام ، حتى تتوفر لهم أسباب القدرة على الزواج ، فهل يقضى المعرضون عن الزواج ــ مع قدرتهم عليه ــ حياتهم فى صيام مستمر ؟!

ان الاسلام العظيم ، فى تقديره لطبيعـــة البشر ، ومعرفته بغرائزهم ، قد انتدب لمن يقع نظره ، على امراة اعجبته ، فتحركت لرؤيتهـــا شـــهوته ، أن يعود الى امراته فيواقعها ، دفعا لغائلة الشهوة ، وتسكينا للنفس ، وقطعا لوساوس الشيطان ، وجمعا لهمة القلب والروح ، فى اقبالهما على الله تعالى .

وفى هذا المعنى يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :

« اذا رأى احدكم المراة التى تعجبه ، فليرجع الى أهله ، حتى يقع بهم ، فان ذلك معهم »(١) . وفى رواية اخرى : يقول صلى الله عليـــه وسلم :

« اذا رأى احدكم امراة حسناء ، فاعجبته ، فليأت أهله : فان البضع واحد ، ومعها مثل الذى معها »(٢) .

ولقد قرن النبى صلى الله عليه وسلم هـــذا التوجيـــه الكريم لأصحابه بالتطبيق العملى ليكون فيه خير قدوة ، وأكرم أسوة .

فقد روى جابر ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امراة ، فأتى امرأته زينب ، فقضى حاجته ، ثم خرج الى أصحابه فقال :

---

(١) الجامع الكبير للسيوطى ، باسناده من حديث جابر رضى الله عنه .
(٢) الجامع الكبير للسيوطى ، باسناده من حديث عمر رضى الله عنه .

« أن المرأة تقبل فى صـــورة شيطان ، وتدبر فى صـــورة شيطان ، فاذا ابصر احدكم امرأة فليأت اهله ، فان ذلك يرد ما فى نفســـــه »(١) .

وانما فعل النبى — صلى الله عليه وسلم — ما فعل ، بيـــانا لأصحابه ، وارشـادا لمـــا ينبغى عليهم أن يفعلوه ، تحصينا لأنفسهم، وتطهيرا لقلوبهم ، وحفاظا على صحتهم .

* * *

هذا هو منهج الاسلام بالنسبة للمتأهلين ، فماذا يستطيع العزاب أن يفعلوه فى مثل هذه الحالة ؟ مع حرصهم على الاستقامة ؟ انهم سيظلون فى صراع دائم مع غرائزهم ، ومهما كانت قوة التقوى فيهم ، فان هذا الصراع له — بلا شك — اضراره على نفسيتهم .. وعلى صحتهم .

أما اذا كانت قوة التقوى ضعيفة فى نفوسهم ، فان الغريزة سوف تكتسح كل تردد أو خوف ، لتصل الى غرضها ، دون مبالاة بمـــا قد تتعرض له من أمراض خبيثة فى الدنيا ، وعذاب اليم فى الآخـــرة .

فالمعرضون عن الزواج — رجالا كانوا او نساء — هم فى الواقع اكثر الناس بؤسا فى الحياة ، واوفرهم حرمانا من متاعهمـــا الحسى والروحى ، ومهما توفر لهم من أسباب الرفاهية والرخاء ، فانهم محرومون من خير متاع الدنيا وأعظم نعم الله تعالى .

لذلك : لا عجب اذا وصف النبى — صلى الله عليه وسلم — العزاب بالمسكنة ، مؤكدا ذلك الوصف حيث قال :

« مسكين مسكين مسكين : رجـــل ليست له امر■■ قالوا : يا رسول الله .. وان كان غنيا من المال ؟ قال : » وان كان غنيا من

---

(١) صحيح مسلم : كتاب النكاح

المال » ثم قال : « **مسكينة مسكينة مسكينة** : امرأة ليس لها زوج » قالوا : يا رسول الله .. وان كانت غنية من المال ؟ قال : « وان كانت غنية من المال »(١) .

اما في المجتمع الغربي — حيث القيم الخلقية غير ذات موضوع — فان العزاب لا يجدون صعوبة في اشباع غرائزهم ، اذ ان تحلل الروابط الأسرية ، جعل الاتصالات الجنسية فوضى ، وغدت العفة بالنسبة للنساء سخافة .. والبكارة بالنسبة للفتيات خرافة !

واكثر من هذا : لقد غدت الاتصالات الجنسية الجماعية تجارة رابحة ، تعلن عنها شركات السياحة ، وتنظم لها الرحلات الى مختلف بلاد الغرب !!

فقد جاء من جوهانسبرج : « **ان احدى شركات السياحة بجنوب افريقيا ، بدأت في الاعلان عن (رحلات جنسية) . للترفيه عن العزاب — الأوروبيين طبعا — ومدة هذه الرحلة ثلاثة اسابيع ، يقوم خلالها الشبان بزيارات لنوادي العراة في فرنسا ، والنوادي الليلية في المانيا والدانمرك ، ومركز الانتاج الجنسي في لندن ، وتتكلف الرحلة اربعة آلاف من الماركات** »(٢) .!!

٦- الهدف الروحي

ويعتبر الاسلام بناء الأسرة ، خير وسيلة لتهذيب النفوس ، وتنمية الفضائل الانسانية ، حيث تقوم الحياة في محيطها على التعاطف والتراحم ، والتضحية والايثار ، وحيث يتعود افرادها تحمل المسئوليات ، والتعاون في اداء الواجبات . قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) اسد الغابة لابن الاثير : ٦/٣١٢ ، من حديث ابي نجيح السلمي ، وقال اخرجه ابن منده وابو نعيم .
(٢) الجمهورية في ١٩٧١/٣/٢٣

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيتــه ، والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته »(١) .

ثم أن قيام الآباء بأود الابناء ، والعناية بتنشئتهم ، وتحمــل الشدائد فى سبيل عيشهم ومؤونتهم ، كل ذلك وما شابهه ، من موجبات رحمة الله تعالى وعفوه ، فضلا عما فيه من صقل للأرواح ، وتصفية للقلوب ، ورفع للدرجات ، وفى هذا المعنى يقول ســيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :

« ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج، ويكفرها الهم فى طلب المعيشة »(٢) . وقال ايضا ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحث على التفانى فى تربية البنات واكرامهن :

« من كانت له بنت فادبها فاحسن تاديبها ، وعلمها فاحسن تعليمها ، وأسبغ عليها من نعم الله التى أسبغ عليه ، كانت له سترا أو حجابا من النار »(٣) .

أما اذا قدر لبعض الأبناء أن يموتوا فى حياة آبائهم ، فان فى ذلك خير بشرى للآباء والأمهــات بنجاتهم . **« يوم لا ينفــع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم(٤) .**

فقد روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال :

■ ما من مسلمين يموت لهمــا اربعــة من الولد لم يبلغوا الحنث

---

(١) متفق عليه ، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما

(٢) عزاه العجلونى فى كشف الخفاء ٢٥٤/١ الى الطبرانى وابى نعيم ، من حديث ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا .

(٣) رواه القرطبى : ١١٨/١٠ ، عن ابى نعيم من حديث الاعمش عن ابى وائل ، عن عبد الله بن مسعود

(٤) سورة الشعراء الآية : ٨٨ ، ٨٩

الا ادخلهما الله عز وجل الجنة » قالوا : يا رسول الله : وثلاثة ؟ قال : « وثلاثة » قالوا : يا رسول الله : واثنان ؟ قال واثنان »(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد : الا جيء بهم يوم القيامة فيقال لهم : « ادخلوا الجنة » فيقولون : حتى يدخلها آباؤنا .. فيقال لهم : فى الثالثة أو الرابعة : ادخلوا انتم وآباؤكم »(٢) .**

وبوجه عام : فان حياة الرجل فى أسرته ، كلهـا من اعظم القربات الى الله تعالى ، فرعايته لأبنائه صـدقة ، ومؤانسته لهم صدقة ، وسقيه الماء لزوجته صدقة ، ووضعه اللقمة فى فيهـا صدقة ، .. بل ان فى اتصاله بها صدقة ، كما اخبرنا به الصـادق المصدوق ، حيث قال :

« ... وفى بضع احدكم صدقة » قالوا يا رسول الله : اياتى احدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « ارايتم لو وضعها فى حرام اكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر »(٣) .

الحامل : لها اجر الصائم القائم :

ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام فى عدالته وسماحته ، **جعل** للنساء من الأجر فى تكوين الأسرة ، ما لا يقل عن أجر الرجـال ، وذلك عوضا عما يتحملن من مشقة الحمل والولادة ، والرضـاع ، والسهر على الولد ..

فقد جاءت (سلامة) حاضنة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

---

(١) أسد الغابة ٣٧٧/١ ، من الحارث بن انيس .
(٢) أسد الغابة لابن الاثير : ٦١/٧ من حديث حبيبة خادمة السيدة عائشة رضى الله عنها .
(٣) صحيح مسلم : من حديث ابى ذر الغفارى رضى الله عنه .

« يا رسول الله : انك تبشر الرجال بكل شيء ، ولا تبشر النساء» . فقال :

« اصويحباتك دسسنك لهذا » قالت : أجـل هن امرننى ، قال :

« الا ترضى احداكن انها اذا كانت حـاملا من زوجها ـ وهو عنها راض ـ ان لها مثل أجر الصائم القائم فى سبيل الله عز وجل ، واذا اصابها الطلق ، لم يعلم أهل السماء والأرض ما اخفى لها من قرة أعين »(١) .

* * *

فاين هذه الصورة الكريمة للحيـــاة العائليـــة ، من حيـــاة العـــزوبة !!

انها حياة جافة لا روح فيها ، ولا هدف منها . .

انها حياة مجردة من اكثر الفضائل الانسانية ، تقوم فى الغالب على الأنانية والاثرة ، والتخلى عن المسئوليات .

فالعزاب ـ غالبا ـ يعيشون لأنفسهم ، ولا يساهمون فى العمل لخير المجتمع الا بمقــدار ، وصراعهم مع شهواتهم وغرائزهم يشوش عليهم صفاء أرواحهم ، لأن الشهوة ـ كما يقـول الامـام الغزالى رضى الله عنه ـ « اذا غلبت ، ولم تقاومها قوة التقوى جرت الى الفواحش . . وان كان ملجما بلجام التقوى : فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج . . . اما حفظ القلب عن الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لا تزال نفسه تجاذبه ، وتحدثه عن امور الوقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى اكثر الأوقات ، وقد يعرض له ذلك فى

(١) اسد الغابة لابن الاثير : ١٤٤/٧ .

اثناء الصلاة ، حتى يجرى على خاطره من امور الوقاع ، ما لو صرح به بين يدى اخس الخلق لاستحيا منه ، والله مطلع على قلبه »(١) ..

وحيــاة الأسرة فيها من الترويح عن النفس ، والائتنــاس بالزوجة ، مــا يساعد العبد فى اقباله على الله ، ويقوى همتــه فى العبــادة .

يقول الامام الغزالى فى هذا المعنى :

« ان النفس ملول ، واذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفى الائتناس بالنســاء من الاستراحة مــا يزيل الكرب : ويروح القلب ، وينبغى ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى : « ليسكن اليها »(٢) .

* * *

ومجمل القول : ان تكوين الأسرة — حتى بالنسبة للعصاة — فرصة لا تعوض للتوبة والاستقامة ، وقد تكفل رب العالمين للتائبين، اذا ما صدقوا فى الرجوع الى ربهم أن يتجاوز عما اقترفوا من آثام، .. وان يبدل سيئاتهم حسنات . قال تعالى :

« الا من تاب وآمن وعمــل عملا صالحا ، فاولئك يبــدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما »(٣) .

شراركم .. عزابكم ..

وهكذا : فان الاعراض عن المساهمة فى تحقيق تلكم الأهداف التى ذكرناها ، مع القــدرة على ذلك ، لا يرضى به مؤمن يقتدى برسول الله ، ويعلم أن الحياة حيــاة الكفاح والعمــل ، والأخوة والتعاون ، والطهر والعفاف ، لا حياة الكسل والخمول ، أو الأنانية والوحدة .. ولا حياة الرهبانية أو الفجور ، فان الله تعالى لم يخلق

---

(١) أحياء علوم الدين : لابى حامد الغزالى ، كتاب آداب النكاح .
(٢) المرجع السابق .
(٣) سورة الفرقان آية : ٧٠ .

العبد ليعيش لنفسه ، وانما خلقه ليعيش لنفسه ولأمته ، فيساهم فى بناء المجتمع الفاضل ، واقامة الأمة العزيزة ، وخير ما يساهم به فى هذا الصدد ، هو تكوين الأسرة القوية ، وتنشئة الأبناء الصالحين الذين يزيدون فى ثروة الأمة ، ويعاونون فى العمل لخير البشرية .

من اجل ذلك : انكر الاسلام الاعراض عن الزواج ، وندد بالمعرضين اشد التنديد .

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكاد يبلغه ان « عكاف بن وداعة الهلالى » لم يتزوج ، مع قدرته على ذلك ، حتى قال له :

« ألك زوجة يا عكاف » ؟ قال : لا . . قال :

« ولا جارية » ؟ . . قال : لا . . قال :

« وانت صحيح موسر »؟! . . قال : نعم والحمد لله . قال صلى الله عليه وسلم :

« فانت اذن من اخوان الشياطين ، . . اما ان تكون من رهبان النصارى فانت منهم ، واما ان تكون منا ، فاصنع كما نصنع ، فان من سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابكم ، ويحك يا عكاف . . !! تزوج » .

فقال عكاف :

« يا رسول الله لا اتزوج حتى تزوجنى من شئت » . فقال صلى الله عليه وسلم :

« فقد زوجتك على اسم الله والبركة ، كريمة كلثوم الحميرى »(١) .

---

(١) اسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير ، من حديث عطية بن بسر المازنى : ٦٨/٣ ، الاصابة لابن حجر : ٤٩٥/٢ ، من حديث ابن عمر رضى الله عنه .

وما كان النبى صلى الله عليه وسلم مغاليا فى وصف المعرضين عن الزواج بمثل هذه الأوصاف المنكرة ، لأن حياة العزاب — غالبا — أكثر شذوذا واستهتارا بالقيم الخلقية ، من المتزوجين. لذلك : كان الشر أقرب اليهم ، والشيطان أقدر عليهم ، بدافع خلوهم من المسئوليات ، وافتقارهم لأسباب التحصين ضد الاغراء والنزوات .

تفضيل الاسلام للمتأهلين فى التوظيف :

واذا كان العزاب — كما بينا — أقرب فى الغالب الى الوقوع فى الشرور من المتأهلين ، وأقل مبالاة باحتياجات المجتمع ، وأضعف قدرة على النهوض بالمسئوليات ، فقد كان من الطبيعى أن نجد النبى صلى الله عليه وسلم ، يفضل المتأهلين فى شغل الولايات العامة ، فيتخذ منهم عماله وولاته ، لأنهم أقرب الى التقوى ، وأبعد عن الاثم ، وأكثر خبرة باحتياجات الناس ، وقدرة على السهر على مصالحهم ، حيث تمرسوا على ذلك فى مجال رعيتهم الخاصة ، وهى الأسرة ، التى تعودوا النهوض بمسئولياتها ، وتوفير الأمن والحماية لها .

لذلك : كانت التوصية باتخاذ الزوجة ، فى مقدمة التوجيهات التى عنى النبى صلى الله عليه وسلم ، بتقديمها الى العمال والأمراء ، كتعليمات يجب الحرص عليها ، والأخذ بها ، حتى يستطيعوا القيام بأعباء الولاية التى ائتمنوا عليها ، وحقوق الرعية المسئولين عنها .

فقد روى الامام أحمد — رضى الله عنه — بسنده عن عبد الرحمن بن جبير قال : سمعت المستورد بن شداد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست

« له زوجة فليتزوج : او ليس له خادم فليتخذ خادما ، او ليست له دابة فليتخذ دابة ، ومن اصاب شيئا سوى ذلك فهو غال »(١) .

وقد رواه ابو داود بسند آخر .. عن المستورد بن شداد ، قال :

« من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما ، فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا »(٢) .

ولو أن الحكومات الاسلامية اتبعت هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقديم المتأهلين فى الوظائف العامة ، لسارت أمور الناس ومصالحهم خيرا مما هى عليه الآن من التعطيل والاهمال .. ولظل المجتمع الاسلامى بمنجاة من كثير من الشرور الخلقية والأوباء الاجتماعية .

الاعراض عن الزواج : نقص فى الايمان :

وطبيعى أن يكون توفر الاستقامة للعازب ، من الصعوبة بمقدار ، وان توفرت : فسيظل ينقصه نصف الدين ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد اعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى »(٣) .

فمهما استقام العزاب ، ومهما صلوا وصاموا .. فان اشتغالهم بمقاومة غرائزهم ، ومجاهدة شياطينهم ، يصرفهم بمقدار عن الاقبال على الله ، ويشوش عليهم — أحيانا — صفاء نفوسهم . لذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« ركعتان من المتزوج ، افضل من سبعين ركعة من الأعزب »(٤)

---

(١) و (٢) تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير : ٢/١٢١
(٣) « الحاكم فى مستدركه » من حديث انس رضى الله عنه .
(٤) من حديث انس رضى الله عنه .

وفى رواية اخرى : « .. خير من اثنتين وثمانين ركعة من العزب »(١) .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد اقتصر فى حديثه على بيان الفارق الشاسع بين صلاتى المتاهل والعازب ، فذلك لان الصلاة هى عماد الدين ، ومن ثم فان مثل ذلك الفارق قائم بينهما فى الصيام والحج ، وبقية العبادات .

ولا عجب : فان صراع العزاب مع غرائزهم ، قد يتطرق اليه الضعف « بمقدار او بآخر ، لانه صراع مع الفطرة ، وهيهات أن يسلم العازب فى صراعه من الزلل ، أو ينجو من الانحراف .

جاء رجل الى ابن عباس — رضى الله عنهما — فقال :

انى شاب لا زوجة لى ، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدى ، فهل فى ذلك من معصية ؟؟ . فأعرض عنه ابن عباس ثم قال :

اف .. وتف !! نكاح الأمة خير منه ، وهو خير من الزنا .

وهكذا : فان العازب — غالبا — ما يجد نفسه بين شرور ثلاثة ، لا مفر من احداها ، اخفها التزوج بالاماء ، وفيه استرقاق للابناء ، وتعكير للانساب ، واشدها الزنا .. « انه كان فاحشة وساء سبيلا » وبينهما الاستمناء باليد ، وفيه من القبح مالا يرتضيه ذوو النفوس الابية ، والهمم العلية .

وقد جاء فى الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ،

---

(١) العقيلى وابن عساكر من حديث أنس رضى الله عنه .

ولا يجمعهم مع العاملين ، ويدخلهم النار اول الداخلين : الا أن يتوبوا ، فمن تاب تاب الله عليه : ناكح يده ، والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه : والناكح حليلة جاره »(١) .

وقد استدل الامام الشافعي — رحمه الله — على تحريم الاستمناء باليد ، بهذه الآية الكريمة : **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين** » قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال تعالى : « **فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون** »(٢) .

لا رهبانية في الاسلام :

والاسلام الحنيف — كدين تقوم دعوته على العمل والبناء لما فيه خيرى الدنيا والآخرة — ينكر الرهبانية ، لمجافاتها للطبيعة البشرية ، ومحاداتها لسنة الله في خلقه ، ويقدم التزويج على التفرغ للعبادة ، لما فيه من تحصين للدين ، وتهذيب للنفس ، وابقاء للنسل الذي يعبد الله ، ويجاهد في سبيله .

روى أن ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم : على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عمرو ، وعثمان بن مظعون ، رضى الله عنهم اجمعين ، ذهبوا يسألون امهات المؤمنين عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رغبة في الاقتداء بها ، فلما أخبروا عنها : خيل اليهم انها دون ما تصوروه بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : واين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . . !! فقال احدهم :

اما انا فاصلى الليل ابدا . . !! وقال الآخر :

---

(١) كشف الخفاء للعجلوني : وقال : اسنده الديلمي عن أنس وعن ابن عمر
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥٨/٥

وانا اصوم الدهر ولا افطر !! . وقال الثالث :

وانا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .. !!

وعلم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بأمرهم ، فجاء اليهم وقال :

« انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكنى اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »(١) .

* * *

ثم ان الاعراض عن النساء ، فيه من الاجحاف بحقوقهن ، ما قد يؤدى الى فتنة فى الأرض ، وفساد كبير ، سواء بالنسبة للمتزوجات منهن ، وغير المتزوجات .

فقد روى أن امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه — وكان يقال لها الحولاء — اتت عائشة رضى الله عنها ، وعندها بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنكرن عليها حالها من الرثاثة والشعث ، وقالت لها عائشة :

ما بالك يا حولاء متغيرة اللون ، لا تمتشطين ولا تتطيبين ؟ .
قالت :

وكيف أمتشط أو اتطيب ، وما وقع على زوجى ، وما رفع عنى ثوبا منذ كذا وكذا !!

فجعلن يضحكن من كلامها . ودخل عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن على هذه الحال ، فقال : « ما يضحككن » ؟
قالت :

يا رسول الله : ان الحولاء سألتها عن أمرها فقالت : ما رفع عنى زوجى ثوبا منذ كذا .. وكذا .

---

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : كتاب النكاح — باب الترغيب فى النكاح .

ولم يتردد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فى تقدير خطورة هذه الشكوى ، ومدى أهميتها بالنسبة للأسرة .. وبالنسبة للمجتمع ، فأرسل الى عثمان فدعاه وقال له :

« ما بالك يا عثمان » ؟ قال :

انى تركته لله ، لكي اتخلى للعبادة ! وقص عليه امره ، وكان عثمان اراد أن يجب نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أقسمت عليك الا رجعت فواقعت أهلك » ! فقال :

يا رسول الله : انى صائم ..! فقال صلى الله عليه وسلم :

« افطر .. افطر » !

فرجع عثمان بن مظعون فاتى اهله .. ورجعت الحولاء الى عائشة — رضى الله عنها — وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت . فضحكت عائشة وقالت :

مالك يا حولاء ؟! فقالت : انه اتاها بالأمس ! (١) .

* * *

فانظر الى اى مدى عنى النبى صلى الله عليه وسلم بحسم هذه المشكلة ، التى قد يخيل لأول وهلة انها غير ذات بال . وكيف ارسل صلى الله عليه وسلم فورا الى عثمان ، وكيف اقسم عليه ان يواقع اهله ، وكيف اكد عليه امره بالافطار ، لأن فى تطييب نفس الزوجة ما هو اعظم عند الله تعالى ، وأحب اليه من الصيام ، لأن تحصين الزوجة فريضة واجبة ، والصيام فى غير رمضان نافلة مستحبة ، والواجب مقدم على المستحب ، والفريضة مقدمة على النافلة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٦٢/٢ رواية من ابن جرير .

ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمـــا تقدم ، حتى قال :

« ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ؟ الا انى انام واقوم ، وأفطر واصوم ، وانكح النساء ، فمن رغب عن ســـنتى فليس منى »(١) ونزل فى هذا الصدد قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبـــات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا »(٢) .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن رغب عن سنتى فليس منى » وعيد شديد ، للمعرضين عن الزواج مع القدرة عليه ، بأنهم ان فعلوا ذلك : رغبة منهم عن السنة ، أو تفضيلا لعملهم عليها ، فليسوا من النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء ، اما ان فعلوه عن جهل منهم ، أو عن ورع يبتغونه ، أو عن حال خاص يتعلق بهـــم ، مع تسليمهم بأفضلية ما جـــاء به النبى صـــلى الله عليه وسلم . فلا يشملهم ذلك الوعيد .

خوف الفقر ليس من الاسلام :

واذا كان الاسلام ــ كما أوضحنا آنفا ــ يعتبر الزواج سبيلا الى اليسر ، فان الاعراض عن تكوين الأسرة خوف الفقر ينافى روح الاسلام ، ويخـــالف ما جرى عليه النبى صـــلى الله عليه وسلم ، والرعيل الأول من اصحابه رضوان الله عليهم ، فضلا عما فيه من عدم الثقة بوعد الله تعالى ، ولا بوعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

فالله سبحانه وتعالى : قد تكفل للمتزوجين ابتغاء مرضاته . واتقاء معصيته ، ان يجعل لهم مخرجا ، ويرزقهم من فضله ، فقال تعـــالى :

---

(١) صحيح مسلم : باب الترغيب فى النكاح : من حديث أنس رضى الله عنه .
(٢) سورة المـــائدة آية : ٨٧

« وانكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم »(١) .

والرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، يؤكد ذلك الوعد بقوله :

« ثلاثة حق على الله عونهم . المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف »(٢) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من تزوج ثقة بالله واحتسابا ، كان حقا على الله تعالى ان يعينه وان يبارك له »(٣) .

ولقد استقرت كل هذه المعانى فى أعماق نجوم الهدى رضى الله عنهم . حتى أن أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — ليقول :

« أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى ، قال **« ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله »(٤)** .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

« عجبى ممن لا يطلب الغنى فى النكاح ، وقد قال الله تعالى : **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله »(٥)** .

* * *

---

(١) سورة النور آية : ٣٢

(٢) الامام أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى : من حديث ابى هريرة رضى الله عنـــه .

(٣) الطبرانى : من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) ارشاد السارى لشرح صحيح البخـارى . للقســطلانى ١٨/٨ رواه ابن ابى حاتم .

(٥) الجامع لاحكام القرآن : للقرطبى : ٢٤١/١٢

ومن ثم : فان من موجبات الايمان : أن تقوى الله تعالى ، والحرص على طاعته ، من أقوى أسباب زيادة الرزق ، وسعة العيش ، قال تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب »(١) ، وقال عز وجل :

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة : ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون »(٢) .

ومن تقوى الله : استكمال نصف الايمان بتكوين الأسرة ..
ومن العمل الصالح : تحمل الأعباء ، والنهوض بالمسئوليات ،

موقف السلف الصالح من تكوين الأسرة :

ولقد ادرك السلف الصالح أهمية تكوين الأسرة ، ومكانتها من المجتمع الاسلامى ، واثرها فى صلاح شئون الدين والدنيا ، فحرصوا على الزواج ، وسارعوا اليه ، استكمالا لدينهم ، واتباعا لسنة نبيهم ، وتوثيقا لعرى الأخوة بينهم وبين اخوانهم ، وتقربا الى الله تعالى بتنشئة الأبناء ورعايتهم ، وزيادة شوكة الاسلام بكفاحهم وجهادهم ، فضلا عما فيه من تحصين لنفوسهم ، وتصفية لقلوبهم .

فهم السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ كل ذلك حق الفهم، حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ليقول :

« لا يمنع من الزواج الا عجز أو فجور »(٣) .

---

(١) سورة الطلاق آية : ٢ ، ٣
(٢) سورة النحل آية : ٩٨
(٣) احياء علوم الدين : للامام الغزالى ـ كتاب آداب النكاح .

ولقد بلغ بكراهية السلف الصالح للعزوبة ، ونفورهم منها ، ما روى عن عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ انه كان يقول :

« لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام ، لأحببت أن اتزوج ، لكيلا القى الله عزبا »(١) .

وروى عن الامام احمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ انه تزوج فى اليوم التالى لوفاة أم ولده عبد الله ، وقال : « أكره ان أبيت عزبا »(٢) .

وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه ، فى الطاعون ، وكان هو نفسه مصابا به ، ومــع ذلك : فقد بلغ من حرصه على الحياة الزوجية أنه قال :

« زوجونى .. فانى أكره أن القى الله تعالى عزبا »(٣) !!

وكان ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ يقول :

« لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج »(٤) .

هكذا فهم السلف الصالح ــ رضوان الله عليهم ــ رسالتهم ، وهكذا كان ايمانهم بالله تعالى ، وحبهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على اقامة سنته ، ثقة منهم ان الخير كل الخير فى الاتباع ، وان الشر كل الشر فى تحكيم الأهواء ، والنكوص عن تحمــل المسئوليات ، والتقصير فى اداء الواجبات .

تمت بحمد الله الرسالة الأولى

ويليهــا

الرسالة الثانيــة

اختيار الزوجين فى الاســلام

وآداب الخطبــة

(١ ــ ٤) احياء علوم الدين للغزالى ــ كتاب آداب النكاح .

محتويات الكتاب

مقدمة الرسالة الأولى

صفحة

تنبيه الرئيس .. الى اهمية الأسرة ٧
محاولات الغرب ضد الأسرة المسلمة ٨
مقلدة الغرب .. وموقفهم من التقاليد الفاضلة . . . ٩
اهمية الأسرة في كفاحنا ضد الصهيونية والاستعمار . . . ٩
عرض موجز لمحتويات الرسالة ١١

الفصل الأول

مكانة الأسرة في دولة الاسلام

مكانة المرأة المسلمة في الأسرة ١٩
قضاء الاسلام على ظلمات الجاهلية ٢٠
مكانة المرأة في بلاد الغرب ٢٧
اعتراف منصفي الغرب بفضل الاسلام على المرأة . . ٣١
موقف اعداء الاسلام من الأسرة ٣٣
محاولة هدم الاسلام بتقويض الأسرة ٣٥
اثر تحلل الأسرة في المجتمع الغربي ٣٦
اثر سيطرة الاعتبارات المادية على المجتمع ٣٨
تحول الاجهاض الى تجارة رابحة ٤٠
لماذا توجه السهام ضد الأسرة المسلمة ٤٤
محاولات الشيوعية القضاء على تقاليد الأسرة المسلمة . ٤٥
صلة النكسة .. بتحلل الأسرة ٤٦
اثر الأسرة في غرس الايمان بالله ٤٩
اثر الايمان في معركة العاشر من رمضان ٥٠
لا عزة للمسلمين بغير الاسلام ٥١
خطر التحلل الخلقي أشد من خطر العدو ٥٢
جهالات المعاصرين من مقلدة الغرب ٥٥
أصلاح الأسرة .. سبيل النهضة ٥٨

الفصل الثانى

أهداف الاسلام .. من تكوين الأسرة

	صفحة
الأسرة الأولى .. فى خير أمة	٦٣
كيفية تكوين الأسرة المسلمة	٦٦
نظرة الاسلام .. الى الزواج	٦٦
الهدف الاجتماعى من تكوين الأسرة	٦٩
الهدف السياسى من تكوين الأسرة	٧١
بعد معركة العاشر من رمضان	٧٣
أضواء وحقائق حول تنظيم النسل	٧٥
تحديد النسل يخدم التوسع الصهيونى	٧٨
اضافة مركبات منع الحمل الى غذاء الدول النامية	٧٩
ايزنهاور .. يرفض تحديد النسل	٨٠
نيكسون يحارب الاجهاض	٨١
جائزة فخر الأمومة فى روسيا	٨١
موقف البابا بولس من تحديد النسل	٨٢
بلايين الدولارات لتحديد نسل الدول النامية	٨٤
الدول الاستعمارية : مصدر المجاعة فى العالم	٨٧
تلق الاستعمار من تزايد سكان المستعمرات !	٩٠
الاسلام يدعو الى التكاثر	٩٤
الاخطار الخلقية لتنظيم النسل	٩٥
الاخطار الصحية لحبوب منع الحمل	٩٥
الهدف الاقتصادى من تكوين الأسرة	٩٧
الهدف الخلقى من تكوين الأسرة	٩٩
الفوضى الجنسية فى المجتمعات الغربية	١٠٠
٧٥٪ من المواليد : غير شرعيين	١٠٢
الشذوذ الجنسى فى المجتمع البريطانى	١٠٣

الفوضى الخلقية فى ألمانيا الغربية ١٠٦
ذيوع الاجهاض فى المجتمعات الغربيــة . . . ١٠٧
البابا يعلن : الاجهاض جريمة قتل ١٠٨
بيع الأطفال فى اسواق أوروبا وامريكا ١١٠

الهدف الصحى لتكوين الأسرة ١١١

انتشار الأوبئة فى المجتمعات الغربية ١١١
تقدير الاسلام للطبيعة البشرية ١١٣
المعرضون عن الزواج .. اكثر الناس بؤسا . . ١١٥

الهدف الروحى لتكوين الأسرة ١١٦

تربية البنات : ستر من النـــار ١١٧
الحامل لها اجر الصائم القائم ١١٨
شراركم عزابــكم ١٢٠
تفضيل الاسلام للمتاهلين فى التوظيف ١٢٢
الاعراض عن الزواج : نقص فى الايمان . . . ١٢٣
لا رهبانية فى الاسلام ١٢٥
خوف الفقر ليس من الاســلام ١٢٨
موقف السلف الصالح من تكوين الأسرة ١٣٠

* * *

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٧ / ٢٧٨٨

مطابع الأهرام التجارية

هـذا الكتـاب

فى مواجهة أساليب التخريب الصليبية والصهيونية لكيان مجتمعنا الاسلامى تصدر دار الاعتصام هذا الكتاب . . . المدعم بالوثائق . . . الحافل بالتحليلات العلمية الموضوعية ، الكاشف للمخططات التى تسعى ـ مستغلة كل وسائل العصر ـ للقضاء على وجود الانسان المسلم ، لتصفية دوره من مسرح التاريخ !

ويأتى القضاء على النسل المسلم ـ بالتشجيع الصهيونى والاستعمارى المجنون لتحديد النسل بين المسلمين بالذات ـ من أبرز معالم هذا المخطط !!

وبينما يشجع الأوربيون والأمريكان النسل بشتى الوسائل ، وتتباكى صحافتهم على قلة النسل الأوربى ، وتحذر من خطر انتهاء دور الانسان الأبيض « الأوربى » . . . بينما يعملون هذا عندهم يعمدون فى الجانب الآخر ـ جانبنا نحن الممثلين لحضارة الاسلام ـ الى اشاعة تحديد النسل ، وهدم بناء الأسرة ، وتشجيع التحلل ، وبث كل وسائل السقوط الحضارى . . .

وهناك من بيننا سذج . . أو متساذجون . . . يسيرون فى نفس الطريق فيدعون ـ أيضا ـ الى ابادة الانسان المسلم ، كما يدعو الأعداء سواء بسواء !!

وليس هذا الكتاب « الجزء الأول منه » إلا أول مصباح صادق يكشف حقيقة ما يراد بنا . . ويدعونا ـ بحقائق ووثائق ـ الى ان نتبصر دور الأسرة المسلمة ، لنعى ما يراد للانسان المسلم ممثلا فيما يحاك من أساليب الهدم للأسرة المسلمة !!

دار الاعتصام

٥٠ قرشا